

جمهورية مصر العربية
وزارة الأوقاف

القـــــدس والمواثيق الدولية

إعـداد

أ.د. علي جمعة عبد الوهاب | أ.د. أحمد ولد النيني
أ.د. محمود الهباش | أ.د. يحيى أحمد الكعكي
أ.د. عبد العزيز العمار | أ.د. جعفر عبد السلام
أ.د. فوزية العشماوي

إشراف وتقديم

أ.د/ محمد مختار جمعة

وزير الأوقاف
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية

١٤٤٢هـ / ٢٠٢٠م



بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾

(الإسراء : ١)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقـــدمـــــة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله سيدنا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين .

وبعـــد :

فالقدس في قلوبنا ، وهي جزء من هويتنا ، فيها المسجد الأقصى ، أولى القبلتين ، وثاني المسجدين ، وثالث الحرمين ، ومَسرى نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) ومعراجه إلى السماوات العلا .

وهو الذي بارك الله حوله ، حيث يقول سبحانه وتعالى في كتابه العزيز: " سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ" (الإسراء : ١) .

ولا تشد الرِّحال بعد المسجدين - المسجد الحرام بمكة المكرمة ، والمسجد النبوي الشريف بالمدينة المنورة - إلا إليه ، حيث يقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : " لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ، المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى " (متفق عليه) .

وصلاة في المسجد الأقصى خير من خمسمائة صلاة فيما سواه عدا المسجد الحرام والمسجد النبوي الشريف ، لقول نبينا (صلى الله عليه وسلم) : "صلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة ، وفي مسجدي هذا بألف صلاة ،

وفي بيت المقدس بخمسمائة صلاة " (شعب الإيمان للبيهقي) ، ويقول النبي (صلى الله عليه وسلم) : " فضل الصلاة في المسجد الحرام على غيره مائة ألف صلاة ، وفي مسجدي ألف صلاة ، وفي مسجد بيت المقدس خمسمائة صلاة" (السنن الصغرى للبيهقي) .

وقد ربط القرآن الكريم بين المسجدين المسجد الحرام والمسجد الأقصى برباطٍ وثيقٍ في مواقف وأحداث متعددة ، يأتي في مقدمتها حادثة الإسراء والمعراج ، حيث كان الإسراء من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي كان منه معراج نبينا (صلى الله عليه وسلم) إلى السماوات العلا .

ومنها تحويل القبلة ، حيث صلى نبينا (صلى الله عليه وسلم) تجاه بيت المقدس نحو ستة عشر شهرًا ، أو سبعة عشر شهرًا ، قبل أن تتحول القبلة إلى بيت الله الحرام ، ليظل المسجد الأقصى حاضرًا في وجدان الأمة وعقيدتها وذاكرتها الإيمانية والتاريخية .

وفي هذا الكتاب تلقي نخبة من كبار علماء الأمة وكتابها ومفكريها وقانونييها الضوء على مكانة القدس ، وتاريخها ، وواقعها ، وعدالة قضيتها، والمواثيق والقوانين الدولية الصادرة بشأنها ، لتظل القدس حاضرة في ذاكرة الأمة وفي أولوياتها ، ومحور أي حل للقضية الفلسطينية ، وإقامة الدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس الشريف، " وَمَا ذَلِكَ عَلَى الله بِعَزِيزٍ"

(إبراهيم :٢٠) ، " والله غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُون" (يوسف : ٢١) .

والله من وراء القصد وهو حسبنا ونعم الوكيل

أ.د/ محمد مختار جمعة مبروك
وزير الأوقاف
رئيس المجلس الأعلى للشئون الإسلامية
وعضو مجمع البحوث الإسلامية
بالأزهر الشريف

القدس في الحضارة الإسلامية (*)

الحمد لله ، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين ، سيدنا محمد ، وعلى جميع الأنبياء والمرسلين ، وعلى الآل والصحابة أجمعين.. وبعـــد:

فالقدس بها المسجد الأقصى أولى القبلتين ، وثاني المسجدين ، وثالث أعظم مسجد في الإسلام ، ومسرى الرسول (صلى الله عليه وسلم).

القدس كلمة تعني الطهارة والنزاهة والتشريف ؛ والقدس هي المدينة المقدسة على مر العصور ، فهي أرض النبوات ؛ حيث وصف الله (عز وجل) القدس وفلسطين في القرآن الكريم - في أكثر من موضع - بأنها الأرض المباركة والأرض المقدسة ، قال تعالى عن سيدنا إبراهيم (عليه السلام) : { وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ }[1]، وقال تعالى : {وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ}[2]، وقال سبحانه على لسان سيدنا موسى (عليه السلام) :{ يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ الله لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ}[3]، وقال (سبحانه وتعالى) : { سُبْحَانَ الَّذِي

---

*) كتب هذا البحث: أ.د/ علي جمعة عبد الوهاب ، مفتي الديار المصرية السابق .

(١) سورة الأنبياء : ٧١.

(٢) سورة الأنبياء : ٨١.

(٣) سورة المائدة : ٢١.

أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (١).

فهذه الأرض هي مهد النبوات ومبعث الرسل ، وقد دخلها جميع أنبياء الله (عليهم السلام) ، فما من نبي إلا وقد أمّها ، واجتمعوا (عليهم السلام) للصلاة في المسجد الأقصى يؤمهم سيدنا رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، وعن أَبِي ذَرٍّ (رضي الله عنه) قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله ، أَي مَسْجِدٍ وُضِعَ أَوَّلُ؟ قَالَ: "الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ" ، قُلْتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قَالَ: "ثُمَّ الْمَسْجِدُ الأَقْصَى" ، قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: "أَرْبَعُونَ" ، ثُمَّ قَالَ: "حَيْثُمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاَةُ فَصَلِّ ، وَالأَرْضُ لَكَ مَسْجِد"(٢).

وبناءً على هذه المكانة نظر المسلمون إلى بيت المقدس على أنه منزل مبارك، وموضع مقدس كريم ، فشَدّوا إليه الرحال ، وأحرموا منه للحج والعمرة ، وزاروه لذاته بغية الصلاة والثواب ، وأحاطوه برعايتهم الدينية الكريمة ، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ (رضي الله عنه) عَنِ النَّبِي (صلى الله عليه وسلم) قَالَ :"لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلاَّ إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ : مَسْجِدِي هَذَا ، وَمَسْجِدِ الْحَرَامِ ، وَمَسْجِدِ الْأَقْصَى"(٣).

---

(١) سورة الإسراء : ١ .

(٢) صحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، حديث رقم ٥٢٠.

(٣) صحيح البخاري ، كتاب الصلاة ، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة ، حديث رقم ١١٨٩، وصحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب فضل المساجد الثلاثة ، حديث رقم ٥١١ .

أولاً: نشـأة القـدس:

١ـ اليبوسيون والكنعانيون :

تعتبر القدس من أقدم مدن الأرض في العصر التاريخي ، فقد هدمت وأعيد بناؤها أكثر من ١٨ مرة في التاريخ ، وترجع نشأتها إلى ٥٠٠٠ سنة ق.م ، أسسها العرب اليبوسيون الذين نشأوا في صميم الجزيرة العربية ، ونزحوا مع مَنْ نزح من العرب ، وبنوا مدينة القدس ، وأطلقوا عليها اسم مدينة السلام نسبة إلى ملكهم الأول "ملكي صادق" ، الذي كان أول من اختطها وبناها.

ويعتقد المؤرخون أن أصل جميع سكان قطاع القدس يرجع إلى أصل كنعاني ، وأن لغتهم الأصلية كانت الكنعانية (١).

وكان الكنعانيون في بادئ الأمر رعاة ، ولما استقر بهم الأمر في فلسطين سميت باسمهم "كنعان" ، وقد أجمع المؤرخون على أن أول آثار عرفت في فلسطين كانت لهم ، حيث كانوا أول ساكني فلسطين بعد نزوحهم من شبه الجزيرة العربية(٢).

٢ـ بناء المسجد الأقصى وإسلامية القدس:

أرسل الله (عز وجل) جميع الأنبياء بدين واحد وهو الإسلام ، قال تعالى: {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ الله الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ

---

(١) تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص١١.

(٢) تاريخ فلسطين قبل الميلاد، هشام أبو حاكمة ، ص٤١.

بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ}[1] ، فالإسلام هو الدين الأول ، فمنذ أن أرسل الله (عز وجل) نوحًا (عليه السلام) أرسله بالإسلام دينًا خالصًا ، فقال (سبحانه وتعالى) على لسان سيدنا نوح (عليه السلام) : {فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ}[2]، وقال تعالى : {وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ }[3]، وعن سيدنا لوط (عليه السلام) قال تعالى: {فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ}[4].

والمسجد الأقصى هو أقدم المساجد التي عمرت لعبادة الله وحده بعد المسجد الحرام ، ولذا كثر تردد الأنبياء جميعًا عليه وصلاتهم فيه ، فعن عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما) قال: "بيت المقدس بنته الأنبياء وعمرته، وما فيه موضع شبر إلا وقد سجد عليه نبي أو قام عليه ملَك" [5].

وعند الحديث عن بناء المسجد الأقصى نجد أن هذه المسألة شغلت العلماء والمؤرخين المسلمين كثيرًا ، حيث اختُلِف فيمن أقام بناءه الأول إلى رأيين:

الأول: أن آدم (عليه السلام) هو الذي أسس كلا المسجدين ، ذكر ذلك ابن الجوزي (رحمه الله) ، ومال إلى ترجيح هذا الرأي الحافظ ابن

---

(١) سورة آل عمران: ١٩.

(٢) سورة يونس: ٧٢.

(٣) سورة البقرة: ١٣٢.

(٤) سورة الذاريات: ٣٦.

(٥) الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل ، لمجير الدين العليمي ١/ ٢٣٩.

حجر في الفتح ، واستدلّ له بما ذكره ابن هشام: أنّ آدم لما بنى الكعبة أمره الله بالسير إلى بيت المقدس ، وأن يبنيه ، فبناه ونسك فيه" ، وهذا القول أثبت كما قال الحافظ في الفتح ؛ وعليه: فإنّ الذي أسس المسجد الأقصى هو آدم نفسه أو أحد أبنائه ؛ لأنّ المدة الفاصلة بين المسجدين أربعون سنة فقط (١).

الثاني: أن الخليل إبراهيم (عليه السلام) هو الذي أسس المسجدين ؛ لأنّ بناءه للمسجد الحرام مشهور بنص القرآن في قوله تعالى: {وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}(٢) ، وقوله تعالى: {وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ}(٣)، وإذا ثبت بالنص أنه بنى الكعبة ، فإنّ بناءه للمسجد الأقصى محتمل راجح لقرب العهد بين المسجدين.

وقد أكد أحد الباحثين المتخصصين في الهندسة على وجود تشابه هندسي تام ما بين بناء الكعبة المشرفة وبناء المسجد الأقصى المبارك ، وباستخدام برامج هندسية ثلاثية الأبعاد وبإهمال المساحتين المختلفتين للكعبة والمسجد الأقصى ، وضَّح الباحث بالخرائط والصور تطابقًا تامًّا في

---

(١) فتح الباري ٦/ ٤٠٩.

(٢) سورة البقرة : ١٢٧.

(٣) سورة الحج : ٢٦.

زوايا البناءين الأربعة ، مما يدعم بمزيد من الأدلة العلمية فرضية بناء المسجدين وتحديد حدودهما بوحي من الله (عز وجل) [1].

وحيث إن رسالة كل نبي هي الإسلام ؛ فإننا نؤكد أن المسجد الأقصى هو إسلامي النشأة ؛ لأن من بناه هم الأنبياء الذين هم مسلمون بالأساس، ولا يكتمل إيمان أحد إلا إذا آمن بجميع رسل الله وكتبه ، قال تعالى: {آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بالله وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ}[2].

ثانيا: **دخول بني إسرائيل القدس**:

خرج سيدنا موسى (عليه السلام) بقومه من بني إسرائيل من مصر بعد أن أظهره الله على فرعون وملئه فأغرقهم في البحر ، جاز بهم صحراء سيناء نحو الأرض المقدسة ، فقال لهم سيدنا موسى (عليه السلام): {يَاقَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ الله لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ}[3] إلا أنهم رفضوا جبنًا وخوفًا قائلين: {قَالُوا يَامُوسَى إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَنْ نَدْخُلَهَا حَتَّى يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا

---

(١) مجلة دراسات بيت المقدس ، د / هيثم الرطروط ، عدد عام ٢٠٠٥.

(٢) سورة البقرة : ٢٨٥.

(٣) سورة المائدة : ٢١.

دَاخِلُونَ}[1] ، فقضى الله (عز وجل) أن يتيهوا في الصحراء أربعين عامًا ، قال تعالى: {قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ }[2] ، وخلال هذه الأعوام الأربعين ظلوا تائهين في الصحراء ، ثم أرسل الله ملك الموت إلى موسى (عليه السلام) ، فقال موسى: "رب أمتني قرب الأرض المقدسة" ، فقبض ملك الموت روحه على بعد مرمى حجر من بيت المقدس ، وكان بينهم وبين القدس كثيب أحمر فقط ، ومع ذلك لم يعرفوا طريقهم إلى بيت المقدس ، وظلوا ضائعين لا يستطيعون الخروج من التيه والضياع ، وتوفي موسى (عليه السلام) هناك عند الكثيب الأحمر ، يقول الرسول (صلى الله عليه وسلم) : " فَلَوْ كُنْتُ ثَمَّ لَأَرَيْتُكُمْ قَبْرَهُ ، إِلَى جَانِبِ الطَّرِيقِ ، عِنْدَ الكَثِيبِ الأَحْمَرِ "[3] ، وظل بنو إسرائيل في التيه أربعين سنة حتى أخرجهم الله على يد فتى موسى المذكور في قصة الخضر إلى الأردن[4].

وجاء سيدنا داود عليه السلام ملكًا على القدس بعد أن استتب الحكم لبني إسرائيل في المدينة ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن أُبَيَّ بن كعب

(١) سورة المائدة : ٢٢.

(٢) سورة المائدة : ٢٦.

(٣) صحيح البخاري، كتاب الجنائز، باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة، حديث رقم ١٣٣٩، بلفظه ، وصحيح مسلم، كتاب الجنائز ، باب فضائل موسى عليه السلام ، حديث رقم ١٥٨ .

(٤) قصص الأنبياء ، ابن كثير: ٢/ ١٧٣ .

(رضي الله عنه) قال : "إن الله (عز وجل) أمر عبده ونبيه داود (عليه السلام) أن يبني له بيتًا ، فقال: أي رب وأين هذا البيت؟ فقال : حيث ترى المَلَك شاهرًا سيفه ، فرآه على الصخرة ، وبني البيت وهو المسجد الأقصى"[1].

وبعد سيدنا داود (عليه السلام) تولى سيدنا سليمان (عليه السلام) مقاليد الحكم ، وقام ببناء المسجد عام ٩٥٠ ق.م ، كما قال ابْنُ الجُوْزِيِّ: "إِنَّهُ مَعْلُومٌ أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ (عليه السلام) هُوَ الذي بَنَى الأَقْصَى ، كَمَا رَوَاهُ النَّسَائِي بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ الله بْنِ عَمْرٍو (رضي الله عنهما) يَرْفَعُهُ: " أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ لَمَّا بَنَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ سَأَل الله ثَلاَثًا: سَأَل الله (عَزَّ وَجَل) حُكْمًا يُصَادِفُ حُكْمَهُ فَأُوتِيَهُ ، وَسَأَل الله (عَزَّ وَجَل) مُلْكًا لاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ فَأُوتِيَهُ ، وَسَأَل الله (عَزَّ وَجَل) حِينَ فَرَغَ مِنْ بِنَاءِ الْمَسْجِدِ الأَقْصَى أَلاَّ يَأْتِيَهُ أَحَدٌ لاَ يَنْهَزُهُ - يُحَرِّكُهُ - إِلاَّ الصَّلاَةُ فِيهِ أَنْ يُخْرِجَهُ مِنْ خَطِيئَتِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّه"[2].

ولأجل هذا الحديث كان ابن عمر (رضي الله عنهما) يأتي من الحجاز فيدخل فيصلي فيه ، ثم يخرج ولا يشرب فيه ماءً مبالغةً منه لتمحيص نية الصلاة دون غيرها لتصيبه دعوة سليمان (عليه السلام) ، وكان الصحابة

---

(١) السنن الكبرى للبيهقي ، كتاب الوقف ، باب اتخاذ المسجد والسقايات ، حديث رقم ١١٩٣٧ .

(٢) سنن النسائي ، كتاب المساجد ، باب فضل المسجد الأقصى ، حديث رقم ٦٩٣ .

(رضوان الله عليهم) ثم التابعون يأتون المسجد ولا يقصدون شيئًا مما حوله من البقاع ولا يسافرون إلى قرية الخليل ولا غيرها.

ثالثا: ما تعرضت له القدس من احتلال وغزو:

بعد وفاة سيدنا سليمان (عليه السلام) انقسمت مملكة بني إسرائيل إلى مملكتين ، ودارت بينهما الحروب الكثيرة ، وانتهز "شيشتق" (فرعون مصر) هذه الفرصة ، فزحف إلى القدس واحتلها ثم لم يلبث أن رجع قافلاً على مصر[(١)].

١- الاحتلال البابلي والفارسي:

في عام ٥٩٩ ق.م غزا البابليون القدس ، وافتتحها " نبوخذ نصر" ٥٩٧ق.م ، وسبى جميع من فيها من اليهود ، وأرسلهم إلى بابل فيما يسمى تاريخيًّا بـ "السبي البابلي" ، وعندما تولى "قورش" عرش فارس تزوج من يهودية ، فتنفس اليهود الصعداء ، وبطلب من زوجته أذن لمن شاء منهم بالعودة إلى القدس[(٢)] ، وسمح لهم بتجديد الهيكل وبناء المدينة ؛ إلا أنه لم يمكنهم من بناء سور لها ، ولم يتمكنوا من بناء سور لها إلا في عهد "دارا" عام ٤٤٥ ق. م[(٣)].

---

(١) تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص١٧ .

(٢) تاريخ مختصر الدول ، ابن العبري ، ص٨١.

(٣) تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص١٨ .

٢ـ الاحتلال اليوناني :

في عام ٣٣٢ ق. م احتل الفاتح المقدوني "الإسكندر الأكبر" القدس، فدخلها ناويًا تدميرها وقتل من فيها ، إلا أن اليهود هرعوا لاستقباله خارج المدينة يتقدمهم الشيوخ والكهنة طالبين العفو ، فسكت عنهم ، وأقرهم على عاداتهم.

وبعد وفاته عانى سكان المدينة الشدائد على يد قواده الذين اقتسموا مملكته بينهم ، ففي عهد "بطليموس" دك حصون المدينة وبطش بسكانها وأرسل منهم مائة ألف من الأسرى إلى مصر عام ٣٢٠ ق.م ، واستخدم عليها يهوديًّا يدعى "يوسف بن طوبياس" جابيًا ، فذاق الناس على يديه الويلات.

وبعد أن انتقلت القدس إلى حكم السلوقيين عام ١٦٨ ق. م عندما احتلها "أنطيوخس أبيفانس" هدم أسوارها ، ودك حصونها ، ونهب هيكلها ونصب فوقه التماثيل ، وقتل من اليهود ثمانين ألفًا ، وأرغمهم على انتهاك حرمة السبت وأكل الخنزير(١).

٣ـ الاحتلال الروماني:

عانت القدس في ظل الاحتلال الروماني للمدينة من التدمير والتخريب ؛ حيث كانت العلاقات شديدة التوتر بين سكانها من اليهود

---

(١) تاريخ القدس ، ص ٢٥-٢٦.

وبين الحكام الرومانيين الذين لم يدخروا جهدًا في البطش والتنكيل بسكان المدينة ، ففي البداية حاصر بومبي ٦٣ ق.م المدينة وضربها بالمنجنيق ، وفتحها عنوة ، وقتل فيها خلقًا كثيرًا ، واستخدم "أسكورس" حاكمًا عليها ، فنكل بسكانها شر تنكيل ، وظلت العلاقات متوترة بين اليهود والرومان ، وتزايدت أعمال الشغب والثورات من حين إلى آخر[١] .

٤ـ القدس في العهد البيزنطي:

في العهد البيزنطي تنفس النصارى الصعداء؛ لأن "قسطنطين" تولى عرش الأباطرة ، فسمح لهم ببناء الكنائس والانتشار في مملكته ، بل تنصر هو نفسه ، ولم يمض وقت طويل حتى زارت أمه "هيلانة" القدس ، وقامت ببناء كنيسة القيامة ٣٣٥م ، وخربت البناء الذي كان على الصخرة[٢] ، وفرض "قسطنطين" على اليهود أن يتنصروا ، فتنصر فريق منهم ، ومن لم يتنصر قتل أو غادر البلاد[٣] .

ولما اعتلى "جوليان" عرش بيزنطة ٣٦٠م ألغى اضطهاد اليهود ، وأمر بإعادة بناء الهيكل ، إلا أن الأمر لم يتم ، وبعد وفاته عام ٤٥١م انقسمت الكنيسة إلى شـرقية وغربية ، وكانت كنيسة القدس تتبع الكنيسة

---

(١) انظر: تاريخ القدس ٢٩-٣٦ بتصرف.

(٢) صبح الأعشى ، القلقشندي ٤/ ١٠١.

(٣) تاريخ القدس الشريف ، سركيس ٤/ ١٠١.

الغربية ، وعندما تولى "جوستانيان" الحكم بنى كنيسة العذراء[1].

وفي عهد هرقل٦١٠ – ٦١٤م دبَّ الضعف في الدولة البيزنطية فلم يستطع الوقوف في وجه كسرى الذي أرسل جيوشه فاحتل القدس٦١٤م، وذبح من سكانها تسعين ألفًا ، وساعدهم اليهود في محاربة النصارى وتخريب كنائسهم ، وأقبلوا نحو الفرس من طبرية ، وجبل الجليل ، وقرية الناصرة ، ومدينة صور ، وبلاد القدس ، فنالوا من النصارى كل منال ، وأعظموا النكاية فيهم ، وخرّبوا لهم كنيستين بالقدس ، وحرّقوا أماكنهم ، وأخذوا قطعة من عود الصليب ، وأسروا بطريرك القدس وكثيرًا من أصحابه[2].

إلا أن هرقل جمع شتات جيشه في عام ٦٢٧م ، فغلب الفرس بحيلة دبرها على كسرى حتى رحل عنهم ، ثم سار من قسطنطينية ليمهد ممالك الشام ومصر ، ويجدّد ما خرّبه الفرس منها ، ودخل هرقل القدس عام ٦٢٩م حاملاً على كتفه خشبة الصليب التي استردها من الفرس[3].

والمقصود بما ذكره القرآن الكريم في أول سورة الروم في قوله تعالى: {الٓمٓ * غُلِبَتِ ٱلرُّومُ * فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ}[4] هذه الوقائع بين الروم والفرس.

---

(١) انظر: تاريخ القدس، عارف العارف ٣٨ –٣٩، بتصرف.

(٢) المواعظ والاعتبار، المقريزي ٣/ ٢٧١.

(٣) المرجع السابق ٣/ ٢٧٣.

(٤) سورة الروم ١ –٣.

رابعا: القدس في الإسلام:

١- الإسـراء والمعراج والتأكيد على إسلامية الأقصى:

تجلت أهمية بيت المقدس في الإسلام عندما أسري بالرسول (صلى الله عليه وسلم) من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ، وبذلك وصل ما بين المسجدين العظيمين ، فكان ذلك إيذانًا بانتقال الأرض المقدسة والمسجد الأقصى إلى ظل الدين الخاتم والرسالة الأخيرة ، وظهر اهتمامه بها مع أولى مراحل الدعوة ، يوم أن كان المسلمون قلة قليلة مستضعفة في مكة ؛ لترسخ مكانتها في القلوب رسوخ عقيدة التوحيد ، وهذا الحدث يؤكد مكانة القدس في الإسلام كواحد من أهم المعالم الإسلامية ، فرحلة الإسراء من مكة إلى بيت المقدس ، ومنها المعراج إلى السماوات أكدت على وحدة أصل الرسالات وهو الإسلام ، وأن جميع الأنبياء بعثوا بعقيدة التوحيد.

ففي هذه الرحلة المباركة تجلَّت وحدة الرسالات السماوية وأصل التوحيد ، فكل الرسل جاءوا بدعوة الإسلام ، قال تعالى:{ قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ }[1] ، وقد التقى رسولنا الكريم (صلى الله عليه وسلم) في هذه الرحلة بإخوانه من الأنبياء ، وصلوا صلاة واحدة يؤمهم فيها

---

(١) سورة البقرة : ١٣٦.

صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، إشارة إلى أن هذه الأمة تتبع جميع الأنبياء وتؤمن بهم ، وأن آخر الرسل موصول بأولهم.

إن الله سبحانه كما أرسل الرسل بالتوراة والإنجيل ، فقد ختمهم برسول الله محمد (صلى الله عليه وسلم) الذي أنزل معه القرآن الكريم والرسالة الخاتمة ، قال تعالى: { قُولُوا آمَنَّا بالله وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ }[١] ، وفي الحديث عن أبي هريرة (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: "إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بني بيتًا فأحسنه وأجمله ، إلا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة ، قال: فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين"[٢].

لقد أصبحت هذه الرحلة رمزًا أبعد وأوسع من حدود الزمان والمكان للتأكيد أن الإسلام هو دين الله الخاتم ، وهو الدين الذي أرسل بأصله الأنبياء والمرسلون لهداية العالمين .

ومما عزز مكانة القدس في الإسلام: أن الصلاة عماد الدين فُرِضَت خلال رحلة المعراج منها إلى السماء ، وكانت القدس هي القبلة الأولى ، فقد

(١) سورة آل عمران : ٨١.

(٢) صحيح البخاري ، كتاب المناقب ، باب خاتم النبيين ، حديث رقم ٣٥٣٥ ، وصحيح مسلم كتاب الفضائل ، باب ذكر كونه (صلى الله عليه وسلم) خاتم النبيين ، حديث رقم ٢٢٨٦.

استمر الرسول (صلى الله عليه وسلم) وصحبه نحو ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا يتجهون إلى بيت المقدس في صلاتهم ، حتى جاء الأمر بتحويلها إلى البيت الحرام ، قال تعالى:{ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ }[١] ، ونقل القبلة من المسجد الأقصى إلى الكعبة لم يغير مكانة القدس بين المقدسات الإسلامية .

وقد جاءت الأحاديث النبوية تؤكد ما قرَّره القرآن الكريم من مباركته ، فشدد الرسول (صلى الله عليه وسلم) على قدسية المسجد الأقصى فقال: "صلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة ، وفي مسجدي هذا بألف صلاة ، وفي بيت المقدس بخمسمائة صلاة"[٢] .

٢ـ الفتح الإسلامي للقدس والعهدة العمرية:

بعد أن فرغ أبو عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه) من فتح دمشق حاصر القدس ، ثم طلب أهلها الأمان والصلح على أن يكون الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) هو الذي يتولى بنفسه تسلُّم بيت المقدس وعقد الصلح ، فكتب أبو عبيدة (رضي الله عنه) إلى عمر (رضي الله عنه) بذلك ،

---

(١) سورة البقرة : ١٤٤.

(٢) شعب الإيمان للبيهقي ، حديث رقم ٣٨٤٥.

فقدم عمر(رضي الله عنه) فنزل الجابية من دمشق ، ثم سار إلى القدس ، فأنفذ صلح أهلها ، وتسلَّم بيت المقدس بنفسه من "صفرونيوس" بطريرك القدس عام ١٥هـ. وصدرت العهدة العمرية ، ونص فيها على أن لا يسكن "إيلياء" أحد من اليهود بناء على طلب النصارى ، ودخل سيدنا عمر (رضي الله عنه) القدس ، ثم أتى موضع المسجد الأقصى فصلى فيه تحية المسجد ، ويُروى أنه صلى في محراب داود ، وصلى بالمسلمين فيه صلاة الغداة من الغد ، فقرأ في الأولى بسورة ص وسجد فيها والمسلمون معه ، وفي الثانية بسورة بني إسرائيل الإسراء ، وجعل المسجد في قبلة بيت المقدس[١].

وبعد أن وصل الخليفة عمر وخادمه إلى مشارف القدس علا التكبير والتهليل من المسلمين ، وصعد "صفرونيوس" وبطاركته إلى أسوار القدس ، ونظروا إلى الرجلين القادمين ، فأخبرهم المسلمون بأنهما ليسا سوى عمر وخادمه ، فسألهم "صفرونيوس" أيهما عمر؟ ، فأخبره المسلمون أن عمر هو هذا الذي يمسك بزمام الناقة ويخوض في الماء والوحل ، وخادمه هو الذي يركب الناقة ، فذهل "صفرونيوس" والبطاركة ، حيث إن هذا مذكور في كتبهم[٢].

وخرجوا إلى عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يسألونه العهد والميثاق والذمة ويقرون له بالجزية ، فلما نظر إليهم عمر (رضي الله عنه) على تلك

---

(١) البداية والنهاية: ٧/ ٥٥.

(٢) سفر زكريا ، الإصحاح التاسع ، رقم ٩ – ١١.

الحالة تواضع لله وخر ساجدًا على قتب بعيره ، ثم اتجه إليهم وقال: "ارجعوا إلى بلادكم ولكم الذمة والعهد إذ سألتمونا وأقررتم بالجزية" ، قال: فرجع القوم إلى بلدهم ولم يغلقوا الأبواب ، ورجع عمر (رضي الله عنه) إلى عسكره فبات فيه ليلة ، فلما كان الغد قام فدخل إليها ، وكان دخوله يوم الاثنين ، وأقام بها إلى يوم الجمعة ، وخطَّ بها محرابًا من جهة الشرق وهو موضع مسجده ، فتقدم وصلى هو وأصحابه صلاة الجمعة(١).

نص العهدة العمرية:

"بسم الله الرحمن الرحيم.. هذا ما أعطى عبد الله أمير المؤمنين عمر بن الخطاب أهل "إيلياء" من الأمان ، أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانهم ، وسقيمها وبريئها وسائر ملتها أنه: لا تسكن كنائسهم، ولا تهدم ، ولا ينتقص منها ، ولا من حيزها ، ولا من صُلُبهم ، ولا من شيء من أموالهم ، ولا يكرهون على دينهم ، ولا يُضار أحد منهم ، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود ، وعلى أهل إيلياء أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن ، وعليهم أن يُخرِجوا منها الروم واللصوص ، فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن أقام منهم فهو آمن وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن أحب من أهل إيلياء أن يسير بنفسه وماله مع الروم ويخلي بِيَعَهم وصُلُبَهم فإنهم آمنون على أنفسهم

(١) فتوح الشام، الواقدي:١/ ٢٤٢.

وعلى بِيَعِهم وعلى صُلُبِهم حتى يبلغوا مأمنهم ، ومن كان فيها من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية ، ومن شاء سار مع الروم ، ومن رجع إلى أهله فإنه لا يؤخذ منهم شيء حتى يحصدوا حصادهم" ، شهد على ذلك: خالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وعبد الرحمن بن عوف ، ومعاوية بن أبي سفيان ، كتب وحضر سنة عشرة [(١)].

ونرى في فتح الإسلام للقدس والعهدة العمرية التي أعطاها لنصارى القدس علو مكانة القدس وأهميتها ، فلم يدخلوها إلا بعد الصلح ، وارتضى المسلمون شروط أهل القدس ورهبانها في ضرورة حضور أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ؛ حيث سارع الخليفة إلى الحضور بعد استشارته للصحابة في المدينة ، فأشار عثمان بن عفان (رضي الله عنه) بأن لا يركب إليهم ؛ ليكون أحقر لهم وأرغم لأنوفهم ، وأشار علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) بالمسير إليهم ليكون أخف وطأة على المسلمين في حصارهم ، فأخذ برأي علي (رضي الله عنه) [(٢)] ، ودخل المدينة دون قتال ولا سفك دم ، وهو ما يظهر تسامح الإسلام ، ويؤكد على قداسة المدينة في الإسلام وتعلق قلوب المسلمين بها ، على عكس الأمم السابقة التي احتلت مدينة القدس المباركة ، فمنذ نشأة المدينة تم تدميرها وسفك دم أهلها كلما

---

(١) الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل ، مجير الدين العليمي المقدسي ١/ ٢٥٣.

(٢) انظر: البداية والنهاية ٧/ ٦٥.

دخلها غازٍ أو محتل ، وذكر "سـفر يشـوع" أن: "يشـوع بـن نـون احتـل أريحا، فدكها دكًّا ، وقتل مَنْ وجده فيها ، لا فرق بين رجل وامـرأة ، شـيخ أو طفل"[1].

كذلك فقد عامل الغزاة بعد ذلك على مر العصور المدينة بنفس الطريقة من القتل والحرق والتدمير والتنكيل ، كما قال تعالى على لسان ملكة سبأ:{ قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ}[2]، فكان الفتح العمري تكريسًا لإسلامية المدينة المقدسة، وترسيخًا لطابعها الإسلامي العميق.

فعندما دخل سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) قام بالذهاب إلى صخرة بيت المقدس وقام بتنظيف مكانها من القمامة التي كانت عليها منذ أيام هيلانة ، وورد عن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أنه قال لكعب الأحبار: أين ترى أن أُصلي؟ فقال: إن أخذت عني صليت خلف الصخرة وكانت القدس كلها بين يديك ، فقال عمر: ضاهيت اليهودية ، لا ، ولكن أصلي حيث صلى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ، فتقدم إلى القبلة فصلى ، ثم جاء فبسط رداءه ، فكنس الكناسة في ردائه ، وكنس الناس"[3].

---

(١) سفر يشوع ، الإصحاح ٦، عدد ٢١-٣٥.

(٢) سورة النمل:٣٤.

(٣) رواه أحمد ، حديث رقم ٢٦١.

وأنشأ (رضي الله عنه) مسجدًا في منطقة الحرم القدسي موقعه إلى جنوب الصخرة المقدسة ، وكان بناءً متواضعًا تم بناؤه من عروق خشبية موضوعة على حوائط تأخذ الشكل الرباعي ، ويقال: إن هذا المسجد كان يتسع لثلاثة آلاف مصلٍّ ، وكان المسلمون بمن فيهم بعض الصحابة والتابعين يترددون عليه للصلاة فيه(1) .

وعندما تجول سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) في المدينة وكانت لا تزال تئن من الخراب الذي أحدثه الغزو الفارسي ، رأي بعينه الثاقبة أن يبدأ بالتنظيم الإداري والقضائي ، ففرض للمسلمين الفروض ، وأعطى العطايا ، ثم وضع التاريخ الهجري ودوَّن الدواوين ، وعيَّن لكل منطقة أميرًا، وعيَّن قاضيًا ، وأسس الحسبة في المدينة ، كما هدم البناء المحدث في وسط السوق ، وحظر على الناس الازدحام في الطرق ، وحضهم على التجارة قائلا : "لا تلهكم الرياسة وحبها ، ولا يغلبنكم الغرباء على التجارة ، فإنها ثلث الإمارة ".

وبينما كان عمر (رضي الله عنه) يتفقد المدينة ويبحث شئونها وما أصاب سكانها من حيف وضيم ؛ أتاه رجل من النصارى له ذمة مع المسلمين في كرم عنب ، فشكا إليه همه ، فركب معه ، ولما رأى أن فريقًا من المسلمين أكلوا ما في الكرم لشدة ما أصابهم من جوع ، أعطاه ثمن ما

---

(1) منارات الهدى في الأرض ، عبد الله نجيب سالم ، ص ٤٧ .

أكلوه، وقد أمر رجاله بالعدل ، قائلاً لهم: "متى استعبدتم الناس ، وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارًا"[1].

وعيَّن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) يزيد بن أبي سفيان على بيت المقدس ، على أن يأتمر بأوامر أبي عبيدة بن الجراح (رضي الله عنه) ، وعيَّن للصلاة سلامة بن قيصر ، وأما من الناحية العسكرية فقد قسمها قسمين: القسم الشمالي وعاصمته الرملة وعليه علقمة بن حكيم ، والقسم الجنوبي وعاصمته إيلياء وعليه علقمة بن مجزز[2].

لقد كان فتح بيت المقدس الإسلامي فتحًا دينيًّا وعسكريًّا ولغويًّا ، ونزلت القبائل العربية في بيت المقدس واستقرت فيه ، وانتشرت اللغة العربية سريعًا ، وشعر الناس بالأمان والاستقرار في ظل المسلمين.

٣ـ القدس في عصور الدول الإسلامية :

أ ـ الدولة الأموية :

كانت الشام مركز المؤيدين للسياسة الأموية ، فقد طالت الصلة بين أهل الشام وبين معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) – مؤسس الدولة الأموية – ورأوا فيه سياسيًّا وقائدًا ماهرًا ، واختار الأمويون دمشق عاصمتهم في قلب الشام ، وأولوا الشام ومدنها وأهلها اهتمامًا خاصًّا ،

---

(١) تاريخ القدس ، عارف العارف ، ٤٩-٥٠.

(٢) الاكتفاء بما تضمنه من مغازي رسول الله والثلاثة الخلفاء ، أبو الربيع سليمان بن موسى الكلاعي الأندلسي: ٢/ ٣٠٢.

وبالنسبة لمدينة القدس فقد تحكم عاملان كبيران في سياسة بني أمية نحوها ، وهما: مكانة المدينة ومسجدها المبارك ، ثم قُرْبِها من دمشق مركز الدولة الأموية وعاصمتها.

فبدأ معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه) بأخذ البيعة من الناس على الخلافة في بيت المقدس ، ولعله أراد بأخذها هناك أن يؤكد شرعية هذه البيعة ؛ حيث يأخذها في مكان طاهر مبارك ، وسار على هذه الخطوة خليفتان آخران من بني أمية ، وهما: الوليد بن عبد الملك وأخوه سليمان.

وإذا كان عبد الملك بن مروان وابنه الوليد قد منحا الحرم القدسي اهتمامًا خاصًّا ، وشيدا المسجدين المباركين: مسجد قبة الصخرة ، والمسجد الأقصى ؛ حيث كان الإنشاء الحديث الأول للمسجد وذلك سنة ٩٧هـ ، وهو إنشاء ولا شك يتناسب مع المسجد ومكانته في الإسلام من جهة ، ومع ما عرف عن الوليد من اهتمام بالمساجد وعناية فائقة بها من جهة أخرى ، ولم يبق الآن من عمارة الوليد شاهدًا على ذلك إلا العقود القائمة على أعمدة من الرخام على يمين القبة الصغيرة عند المدخل ويسارها ، وارتفاع تلك الأعمدة مع تيجانها خمسة أمتار ، أما ارتفاع قمة العقد فيبلغ أكثر من ستة أمتار ، وفوق كل ثلاثة عقود خمس فتحات ، وكان طول الجدار من الشمال إلى الجنوب قرابة ٥١ مترًا ، فإذا افترضنا أن عرضه كان مثله – وليس بين أيدينا مصدر يحدد ذلك – فإن مساحة المسجد آنذاك لا تقل عن ٢٥٠٠م

مربع ، وكان على جانب من الفخامة بحيث إن أبوابه صفحت بالذهب[1] ؛ فإن سليمان بن عبد الملك مكث زمنًا أميرًا على فلسطين ، وكان يحب الجلوس تحت قبة السلسلة بأرض الحرم القدسي الشريف ، ولم يكتف بأخذ البيعة من الناس على سطح صخرة بيت المقدس والناسُ من حوله ، والمال الوفير وكُتّاب الدواوين إلى جانبه ، بل كاد أن يتخذ مدينة القدس أو الرملة عاصمة لمُلكه ، ولعله استحضر في ذلك صورة النبي الكريم سليمان بن داود (عليهما السلام) ولكن يبدو أن سرعة موته سنة ٩٨هـ قد حالت دون ذلك.

إن وصف مدينة القدس في زمان بني أمية يكشف عن اهتمامهم بها وبأسوارها وبناياتها ، فقد كان للقدس يومئذ سور ، وكان على ذلك السور أربعة وثمانون برجًا ، وله ستة أبواب ، ثلاثة منها فقط يدخل الناس منها ويخرجون: واحد غربي المدينة ، والثاني شرقيها ، والثالث في الشمال ، وكان يؤم المدينة في اليوم الخامس عشر من شهر سبتمبر من كل سنة جماهير غفيرة من مختلف الأجناس والأديان بقصد التجارة ، ويقضي هؤلاء فيها بضعة أيام ، وكان فيها مسجد مربع الأضلاع ، بُني من حجارة وأعمدة ضخمة نقلت من الأطلال المجاورة ، وهو يتسع لثلاثة آلاف من المصلين ، وهو المسجد الذي بناه سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) ، وكان جبل الزيتون مغطى بأشجار العنب والزيتون ، وكان سكان بيت المقدس يومئذ

---

(١) منارات الهدى في الأرض ، عبد الله نجيب سالم ، ص ٤٨.

يأتون بالأخشاب التي يحتاجون إليها من أجل البناء والوقود ، تنقل على الجمال من غابة كثيفة واقعة على بعد ثلاثة أميال من الخليل إلى الشمال ، وقد استعمل الأمويون بعض ساكني القدس من اليهود والنصارى لخدمة المسجد لكنس ما يصيبه في المواسم والشتاء والصيف ولعمل الحصر وإضاءته.

ب ـ الدولة العباسية :

ليس صحيحًا ما أشيع أن العباسيين لم يهتموا بالحرم الشريف وعمارته ، فقد تم ترميم المسجد الأقصى ، وأعاد الخليفة المنصور عام ١٤٠هـ بناء المسجد الأقصى وأنفق عليه نفقة كبيرة بعضها منه ، وباقيها من ألواح الذهب التي كانت على الأبواب من قبل ، ولما انتهى سار إلى بيت المقدس فصلى في المسجد ، وشكر الله على إتمامه وكان ذلك عام ١٤١هـ .

وقد تعرضت المدينة لِهزة أرضية عنيفة في عام ١٥٨هـ/ ٧٧٤م أدت إلى تدمير معظم بناء المسجد الأقصى ، فأمر الخليفة المهدي بإعادة بنائه بعد أن تهدم وهجره الناس ، فأعيد بناؤه على نحو أقوى وأضخم ، وترك الجزء القديم فيه كجانب جمالي وأثري ، وصار للمسجد ستة وعشرون بابًا ، سُمي الباب الأوسط المواجه للمحراب بالباب النحاسي الكبير ، بينما كان على يمينه سبعة أبواب وعلى يساره سبعة ، أي أن الحائط الشمالي كان يحوي خمسة عشر بابًا ، بينما كانت الأبواب الأحد عشر الأُخر في الحائط الشرقي

منه ، هذا وقد انتصبت فوق المحراب قبة من الخشب جُلِّدَت من الخارج بأفرخ من الرصاص ، وكانت أعمدة المسجد كلها من البناء لا من الحجر الرخـام ، وبذلك أمكن التفـريق بينهـا وبين الأعمدة القديمة. وبلـغ طول المسجد حينذاك ١٠٣ وعرضه ٦٩ مترًا [١].

وفي عصر الخليفة هارون الرشيد اهتمت الدولة بمدينة القدس ، حيث عامل النصارى أحسن معاملة ؛ فسمح للإمبراطور شارلمان بترميم الكنائس وبناء كنيسة العذراء ، في دلالة على تسامح الإسلام مع الآخر ، وتأكيد حكام الدولة الإسلامية على قداسة ومكانة القدس لدى المسلمين.

وفي مطلع القرن الثالث الهجري تعرض المسجد الأقصى لزلزال ضرب المنطقة ، فأمر الخليفة المأمون أمراء الأطراف أن يتولى كل منهم بناء رواق من المسجد على نفقته ، وجعل المشرف على ذلك عبد الله بن طاهر ، فتم للمأمون ما أراد عام ٢١٠هـ [٢].

وفي سنة ٢١٦هـ/ ٨٣١ م زار الخليفة العباسي المأمون ١٩٨-٢١٨هـ/ ٨١٣-٨٣٣م بيت المقدس وكان قد أصاب قبة الصخرة شيء من الخراب فأمر بترميمه وإصلاحه ، والأمر تطور على ما يبدو ليصبح مشروع ترميم ضخم اشتمل على قبة الصخرة المشرفة ، مما حدا بالمأمون أن يضرب فلسًا

---

(١) منارات الهدى في الأرض ، عبد الله نجيب سالم ، ص ٤٨ .

(٢) تاريخ القدس، عارف العارف: ٥٥ .

يحمل اسم القدس لأول مرة في تاريخ مدينة القدس وذلك في سنة ٢١٧هـ كذكرى لإنجاز ترميماته.

وفي عهد الخليفة العباسي المقتدر بالله ٢٩٥-٣٢٠هـ / ٩٠٨-٩٣٢م في سنة ٣٠١هـ/ ٩١٣م ، تمت أعمال ترميمات خشبية في قبة الصخرة اشتملت على إصلاح قسم من السقف ، وكذلك عمل أربعة أبواب خشبية مذهبة بأمر من أم الخليفة المقتدر ؛ حيث تم الكشف عن ذلك من خلال شريط كتابي مكتوب بالدهان الأسود وجد على بعض الأعمال الخشبية في القبة ، حيث كتب عليها ما نصه: "بسم الله الرحمن الرحيم ، بركة من الله لعبد الله جعفر الإمام المقتدر بالله أمير المؤمنين حفظه الله لنا مما أمرت به السيدة أم المقتدر بالله نصرها الله ، وجرى ذلك على يد لبيد مولى السيدة ، وذلك في سنة إحدى وثلاث مائة".

جـ ـ عصر الفاطميين:

في الفترة الفاطمية ، تعرضت فلسطين لهزات أرضية عنيفة سنة ٤٠٧هـ/ ١٠١٦م أدت إلى إصابة قبة الصخرة وإتلاف بعض أجزاء القبة الكبيرة ؛ حيث بُدئ بترميمها في عهد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله ٣٨٦-٤١١هـ/ ٩٦٦-١٠٢١م[1]، واستكمل الترميم في عهد ولده الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله ٤١١-٤٢٧ هـ/ ١٠٢١-١٠٣٦م ، وقد اشتملت

---

(١) تاريخ يحيى بن سعيد ، يحيى بن سعيد الأنطاكي ، ص٣٧٢.

الترميمات على القبة وزخارفها وتمت على يدي علي بن أحمد في سنة ٤١٣هـ/ ١٠٢٢م.

وقد تعرض المسجد الأقصى لهزة أرضية أخرى حدثت سنة ٤٢٥هـ/ ١٠٣٣م أدت إلى تدمير معظم ما عُمِّر في عهد المهدي ، حتى قام الخليفة الفاطمي الظاهر لإعزاز دين الله بترميمه في سنة ٤٢٦هـ/ ١٠٤٣م ، فقام باختصاره على شكله الحالي ، وذلك عن طريق حذف أربعة أروقة من كل جهة الغربية والشرقية ، كما قام بترميم القبة وزخارفها من الداخل.

وقد أشير لترميماته هذه من خلال نقشه التذكاري الموجود والذي جاء فيه ما نصه: "بسم الله الرحمن الرحيم ، نصر من الله لعبد الله ووليه أبي الحسن على الإمام الظاهر لإعزاز دين الله أمير المؤمنين صلوات الله عليه وعلى آبائه الطاهرين وأبنائه الأكرمين ، أمر بعمل هذه القبة وإذهابها سيدنا الوزير الأجل صفي أمير المؤمنين وخاصته أبو القاسم علي بن أحمد بن أحمد أيده الله ونصره ، وكمل جميع ذلك إلى سلخ ذي القعدة سنة ست وعشرين وأربع مائة ، صنعه عبد الله بن الحسن المصري المزوق".

كما أشاد الرحالة "ناصر خسرو" في كتابه "سفرنامه" بازدهار المدينة وكثرة النشاط فيها ، وأن فيها سوقًا كبيرة وجميلة ، بها كثير من الصُنَّاع ، وأن أرضها مبلطة بالحجارة ، كما ذكر أن بها مستشفى عظيمًا عليه أوقاف طائلة.

وقد تعرض المسجد الأقصى بعد ذلك لكثير من النهب والإصابات نتيجة حملات الفرنجة التي كانت القدس محورها وهدفها ، فذهب جزء كبير من بناء الظاهر الفاطمي ، ولكن بقي منه الهيكل العام المكون من سبعة أروقة عمودية على القبلة ، وجوف بيت الصلاة المكون من أحد عشر صفًّا من العقود الموازية لجدار القبلة ، والرواق الأوسط أو المجاز الأعظم مساحته ضعف مساحة بقية الأروقة ، وتقوم فوق البلاطة الأخيرة منه – أي المربع بين الأعمدة – قبة صغيرة فوق المدخل مباشرة ، وهناك قبة أخرى أكبر من هذه فوق البلاطة المؤدية للمحراب(١).

٤- حروب الفرنجة وتحرير القدس على يد صلاح الدين:

أ- فكرة الحروب الصليبية من منظور تاريخي:

ربما لم يعرف التاريخ الإنساني ظاهرة تاريخية حملت مصطلحًا مناقضًا لحقيقتها مثل "الحركة الصليبية" أو الحروب الصليبية أو ما يسميه العرب والمسلمون "حرب الفرنجة" ، هذا المصطلح المضلل المربك كان نتاج عدد من التطورات التاريخية والمفارقات المدهشة في التاريخ الأوروبي وفي التاريخ العربي على حد سواء .

كانت البداية الفعلية لتلك الحروب في السابع والعشرين من شهر نوفمبر سنة ١٠٩٥م بالخطبة التي ألقاها البابا " أُربان الثاني" ١٠٨٨- ١٠٩٩م في حشود المستمعين الذين اجتمعوا في جنوب فرنسا ، حيث جمع

---

(١) انظر: سفر نامه ، ناصر خسرو ، ص٥٦- ٥٧.

الأساقفة لمناقشة أحوال الكنيسة الكاثوليكية المتردية ، ووجه من خلال هذا اللقاء دعوة بشن حملة تحت راية الصليب ضد المسلمين في فلسطين[1] .

وخلال الفترة من عام ١٠٩٦م إلى عام ١٢٩١م قامت عدة مستوطنات صليبية على التراب العربي في فلسطين وأعالي بلاد الشام والجزيرة ، وتعين على سكان هذه المنطقة العربية أن يدفعوا ثمنًا فادحًا ؛ لكي يقضوا على الكيان الصليبي من جهة ، ويتصدوا للمشروعات والغارات الصليبية المتأخرة من جهة أخرى .

ولقد كانت هذه الحروب من أهم الأسباب التي عطلت قوى الإبداع والنمو في الحضارة الإسلامية ، وبعد نهاية النضال ضد الصليبيين دخلت المنطقة العربية في منحنى التدهور والأفول ، لقد كانت الحملات الصليبية ضد الشرق العربي أول مشروعات الاحتلال الأوربي ، وأيضًا كانت المرحلة التي سبقت مرحلة الاحتلال الحديث.

ب ـ استخدام الدين لتبرير الحملة :

كان البطاركة يحثُّون على الخروج إلى البيت المقدس ، وصوروا المسيح (عليه السلام) وجعلوه مع صورة عربي يضربه ، وقد جعلوا الدماء على صورة المسيح (عليه السلام) ، وقالوا لهم: هذا المسيح يضربه محمد نبي المسلمين وقـد جرحه وقتله ، وكان عند الفرنج من الباعث الديني والنفسي

(١) ماهية الحروب الصليبية ، الأيديولوجية- الدوافع- والنتائج ، د. قاسم عبده قاسم، ص١١ .

ما هذا حده ، وهذا كان سبب خروجهم في حربهم[1] .

جـ ـ دخول الفرنجة القدس:

لقد قُتِل عدد كبير من أبناء المدينة فكانوا يُرمَون بالنبال أو يجبرون على القفز جماعات من فوق الأسوار ، كما عُذّب بعضهم ، وكان الجنود في كل مكان يسيرون فوق الجثث ، لقد كانت مجزرة رهيبة ، بعدها كانوا يسيرون في بحيرات من الدم .

ولماذا نذهب بعيدًا فقد رصد التاريخ الإسلامي الحدث ذاته بكثير من التفصيل والدقة سردها الإمام ابن الأثير (رحمه الله) في كتابه "الكامل" وذكر: "أن المذبحة استمرت طوال يوم الدخول وليلته ، واقتحم الفرنجة المسجد الأقصى في صباح اليوم التالي ، وأجهزوا على من احتموا فيه ، وصبغت ساحات المسجد بدماء العبّاد والزهّاد الركّع السجود ، وتوجه قائد الحملة في الضحى لدخول ساحة المسجد متلمسًا طريقه بين الجثث والدماء التي بلغت ركبته ، وكان النظر لا يقع إلا على أكوام من الرؤوس والأيدي والأقدام المقطعة في الطرقات والساحات ، وتم نهب جميع الأمتعة، وخربوا أثاث المسجد الأقصى وقبة الصخرة ، ونهبوا القناديل التي بلغت نيفًا وأربعين قنديلاً ، كل قنديل وزنه ثلاثة آلاف وستمائة درهم ، وأخذوا نيفًا وعشرين قنديلاً من ذهب ، وأبادوا أهل أنطاكية وخربوا حمص

(١) الكامل لابن الأثير ٥/ ١٩٢، وسير أعلام النبلاء ٢٠/ ٢٠٩.

وبعلبك وحماة وعسقلان وقِنسرين وطبرية ، وغيرها من البلاد ، وهجَّروا أهلها منها ، وفعلوا الأفاعيل العظيمة التي استحى حكماؤهم ومؤرخوهم منها"[١].

د ـ معركة حطين:

معركة حطين معركة وقعت في ٤ من يوليو ١١٨٧م قرب قرية المجاودة ، بين الناصرة وطبرية ؛ حيث كان النصر حليف المسلمين فيها ، وأبلى القائد "صلاح الدين الأيوبي" فيها بلاءً حسنًا ، ووضع فيها الصليبيون أنفسهم في وضع غير مريح استراتيجيًّا في داخل طوق من قوات صلاح الدين ، أسفرت عن تحرير مملكة القدس وتحرير معظم الأراضي التي احتلها الصليبيون[٢].

هـ ـ إصلاحات صلاح الدين في المسجد الأقصى:

أمر صلاح الدين بإعادة الأبنية إلى حالها القديم ، فقام فرسان الداوية ببناء أبنية غربي الأقصى ليسكنوها ، وعملوا فيها ما يحتاجون إليه ، وأدخلوا بعض الأقصى في أبنيتهم فأعيد إلى الأول ، وأمر بتطهير المسجد والصخرة من الأقذار والأنجاس ، ففعل ذلك أجمع.

ولما فرغ صلاح الدين من صلاة الجمعة تقدم بعمارة المسجد الأقصى واستنفاد الوسع في تحسينه وترصيفه ، وتدقيق نقوشه ، فأحضروا من

(١) الكامل لابن الأثير ٥/ ١٩٢..

(٢) النوادر السلطانية لابن شداد ١/ ١٣١.

الرخام الذي لا يوجد مثله ، ومن الفص المذهب القسطنطيني وغير ذلك مما يحتاجون إليه ، فشرعوا في عمارته ، ومحوا ما كان في تلك الأبنية من الصور ، وكان الفرنج فرشوا الرخام فوق الصخرة وغيبوها ، فأمر بكشفها ، وكان سبب تغطيتها بالفرش أن القسيسين باعوا كثيرًا منها للفرنج الواردين إليهم من داخل البحر للزيارة ، فكانوا يشترونه بوزنه ذهبًا رجاء بركتها ، وكان أحدهم إذا دخل إلى بلاده باليسير منها بنى له الكنيسة ، وجعله في مذبحها ، فخاف بعض ملوكهم أن تفنى ، فأمر بها ففرش فوقها حفظًا لها ؛ فلما كشفت نقل إليها صلاح الدين المصاحف الحسنة ، والربعات الجيدة ، ورتب القراءة ، وأدار عليهم الوظائف الكثيرة، فعاد الإسلام هناك غضًّا طريًّا ، وهذه المكرمة من فتح البيت المقدس لم يفعلها بعد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) غير صلاح الدين (رحمه الله) وكفاه ذلك فخرًا وشرفًا [(١)].

وكان الإفرنج قد عملوا غربي المسجد الأقصى نهرًا ومستراحًا ، فأمر السلطان بإزالة ذلك وإعادة الجامع إلى ما كان عليه ، وكان نور الدين محمود ابن زنكي قد عمل منبرًا بحلب تعب عليه مدة ، وقال: هذا لأجل القدس ، فأرسل السلطان وأحضر المنبر من حلب وجعله في المسجد الأقصى ، وأقام السلطان بعد فتح القدس بظاهره إلى الخامس والعشرين من شعبان يرتب

---

(١) الكامل لابن الأثير ٥/ ١٧٨.

أمور البلد وأحواله ، وتقدم بعمل الربط والمدارس[١] ، فجعل دار فرسان الإسبتار مدرسة للشافعية ، وهي في غاية ما يكون من الحسن[٢].

خامسا: الاحتلال البريطاني وتهويد القدس:

احتل البريطانيون القدس في ٩ من ديسمبر ١٩١٧م ، وخطب قائد الجيش البريطاني اللنبي في القدس محتفلاً بانتصاره قائلاً: "والآن انتهت الحروب الصليبية " ، وكأن حملتهم على فلسطين كانت آخر حملة صليبية ، ومنذ ذلك الوقت فتحت بريطانيا بالقوة مشروع التهويد المنظم لأرض فلسطين ، واستطاعت بريطانيا بعد ذلك إقناع فرنسا بالتخلي عن مشروع تدويل فلسطين كما في نصوص "سايكس بيكو" مقابل رفع بريطانيا لدعمها للحكومة العربية التي نشأت في دمشق ، ثم وفرت بريطانيا لنفسها غطاءً دوليًّا باستصدار قرار من عصبة الأمم في ٢٤ من يوليو١٩٢٢م بانتدابها على فلسطين ، غير أن فكرة الانتداب التي ابتدعتها عصبة الأمم كانت قائمة على أساس مساعدة الشعوب المنتدبة وإعدادها لنيل استقلالها، وقد تضمن صك الانتداب نفسه على فلسطين مسئولية الدولة المنتدبة (بريطانيا) في الارتقاء بمؤسسات الحكم المحلي ، وصيانة الحقوق المدنية والدينية لجميع سكان فلسطين ، وهذا يعني ألا يقف "وعد

---

(١) النوادر السلطانية لابن شداد ١/ ١٣١.

(٢) المصدر السابق.

بلفور" في نهاية الأمر عائقًا في وجه أبناء فلسطين ضد الارتقاء بمؤسساتهم وإقامة دولتهم.

وكان تنفيذ "وعد بلفور" يعني عمليًّا الإضرار بمصالح أهل فلسطين وحقوقهم ، وتعطيل بناء مؤسساتهم الدستورية باتجاه إقامة دولتهم ، وقد فضلت بريطانيا دائمًا التزام الشق المتعلق بوعد بلفور ، وأصمت آذانها ولم تحترم الشق المتعلق بحقوق أبناء فلسطين العرب ، وعاشت فلسطين تحت الاحتلال البريطاني مؤامرة كبيرة ، فحرم أهل فلسطين من بناء مؤسساتهم الدستورية وحكم أنفسهم ، ووضعوا تحت الحكم البريطاني المباشر ، بصلاحيات مطلقة ، وضيقت بريطانيا على الفلسطينيين سبل العيش وكسب الرزق ، وشجعت الفساد ، وسعت لتعميق الانقسامات العائلية والطائفية وإشغال أبناء فلسطين ببعضهم ، وفي المقابل شجعت الهجرة اليهودية ، فزاد عدد اليهود من ٥٥ ألفًا ٨٪ من السكان سنة ١٩١٨م إلى ٦٥٠ ألفًا ٣١٪ من السكان سنة ١٩٤٨م [(١)].

وقامت الحركة الوطنية الفلسطينية على عدد من الثوابت أهمها: التمسك بحقهم الكامل في فلسطين ، والإصرار على استقلالهم مهما كلفهم الثمن ، وقد تمحور النشاط السياسي الفلسطيني حول مطالب محددة أبرزها:

---

(١) وثائق أساسية في الصراع العربي الصهيوني ، سمير أيوب ١/ ٢٨٠.

- إلغاء "وعد بلفور" لما يتضمنه من ظلم وإجحاف بحقوق الأغلبية الساحقة من السكان.

- إيقاف الهجرة اليهودية.

- وقف بيع الأراضي لليهود.

- إقامة حكومة وطنية فلسطينية منتخبة عبر برلمان مجلس تشريعي يمثل الإرادة الحقيقية الحرة للسكان.

- الدخول في مفاوضات مع البريطانيين لعقد معاهدة تؤدي في النهاية إلى استقلال فلسطين.

وعلى هذه الأسس نشأت الحركة الوطنية الفلسطينية ، وأقام الفلسطينيون مؤتمرهم الأول في القدس: المؤتمر العربي الفلسطيني ٢٧ من يناير – ١٠ من فبراير ١٩١٩م(١).

وفي العام نفسه الذي صدر فيه "وعد بلفور" بإقامة وطن قومي لليهود ، نجحت الثورة البلشفية الشيوعية في الاتحاد السوفيتي ومعظم قياداتها من اليهود ، كما أن مؤسسها الفكري "كارل ماركس" هو يهودي أيضًا ، نجحت هذه الثورة في السيطرة على روسيا ، وفورًا تم إصدار قوانين تحرم اضطهاد اليهود ، وقوانين أخرى أهم وهي إلزامية على عاتق دولة الاتحاد السوفييتي بإقامة دولة إسرائيل ذات السيادة في فلسطين ، وبما أن

(١) الهجرة اليهودية إلى فلسطين ، وليم فهمي ، ص ٣٦.

أرض فلسطين كانت ستؤول إلى الاحتلال البريطاني وليس الروسي ؛ فإن هذه القوانين رغم أنها أقوى من وعد بلفور وأكثر إلزامية فقد استوجب الأمر أن يتوجه اليهود بكافة الوسائل الدبلوماسية للحصول على قانون أو حتى مجرد وعد من بريطانيا بإقامة دولة إسرائيل ، أو حتى ولو مجرد وطن قومي على جزء من فلسطين.

ويعتبر "بن جوريون" وحده صاحب مخطط فرض الأمر الواقع على القدس منذ صدور قرار تقسيم فلسطين في نوفمبر١٩٤٧م ، وتقسيمها إلى مدينتين ، والتهويد المبكر للجزء الغربي منها ؛ حيث تعامل "بن جوريون" مع قرار تقسيم فلسطين بأسلوب يعتمد على الخداع والمكر ؛ حيث عمل على أن يكون للقدس كيانٌ منفصلٌ خاضعٌ لنظام دولي خاص تتولى الأمم المتحدة إدارته ، وتعين مجلس وصاية ليقوم بأعمال السلطة الإدارية نيابة عن الأمم المتحدة ، ولقد أكد القرار حدود المدينة والتي تضمنت بلدية القدس الحالية ، إضافة إلى القرى والبلدان المجاورة لها ، والتي امتدت شرقًا حتى "أبو ديس" ، وجنوبًا حتى "بيت لحم" ، وغربًا حتى "عين كارم"، وشملت أيضًا المنطقة المبنية من قرية "قالوينا"[1].

---

(١) القدس من بن جوريون إلى نتنياهو ، أحمد يوسف القرعي ، ص١٨-١٩.

ورفض العرب قرار التقسيم انطلاقًا من أن التدويل يسلبهم حقهم التاريخي والشرعي في السيادة على المدينة ، إلا أن اليهود قبلوا مشروع التدويل حتى يمكنهم إعلان قيام دولة إسرائيل ، على أن تعمل بعد ذلك على فرض أمر واقع جديد ؛ ولذلك احتلت القوات الصهيونية مزيدًا من الأراضي العربية ، ثم أقامت طريقًا يربط بين "تل أبيب" و"القدس" ، كما بادرت باحتلال "حي القطمون" الذي له أهمية استراتيجية في القدس قبل إعلان قيام دولة الاحتلال الصهيوني.

ولتحقيق الاستراتيجية التي تبناها "بن جوريون" ، لم يحترم قرارات مجلس الأمن ؛ حيث لم يلتزم بقرار تجريد القدس من السلاح لحمايتها من الدمار ، ولقد نجح "بن جوريون" في تثبيت إستراتيجيته القائمة على سياسة الأمر الواقع خلال اتفاق وقف إطلاق النار مع الأردن ؛ حيث عُينت خطوط وقف إطلاق النار في القدس ، وهي الخطوط التي أصبحت فيما بعد خطوط الهدنة في اتفاق الثالث من أبريل ١٩٤٩م ، أو خطوط الأمر الواقع لتقسيم القدس إلى مدينتين شرقية وغربية.

وتكريسًا للأمر الواقع بادر "بن جوريون" بنقل العديد من الوزارات إلى القدس ، منها وزارة الخارجية ، حتى تضطر الدول التي تقيم علاقات دبلوماسية مع إسرائيل إلى نقل سفاراتها من "تل أبيب" إلى "القدس" ، ومن ثم تعترف بالأمر الواقع الذي عمد "بن جوريون" إلى تثبيته ، كما بدأ

في إقامة مبنى الكنيست الجديد في١٤ من أكتوبر ١٩٥٨م ، والذي افتتح في الثلاثين من أغسطس ١٩٦٦م ، وبذلك يكون "بن جوريون" قد نجح في تنفيذ استراتيجيته الهادفة إلى خلق أمر واقع جديد ، على الرغم من أن طموحاته كانت أكبر من هذا بكثير ؛ حيث كان قد أعلن الخطوط العامة لحدود دولة إسرائيل قبل قيامها على أن تكون الحدود الشمالية هي "نهر الليطاني" جنوب لبنان ، والحدود الشرقية عند "نهر العوجي" في سوريا وصحراء الأردن ، والحدود الجنوبية عند البحر الأحمر[1].

هكذا هيأ "بن جوريون" لخلفائه أمرًا واقعًا في القدس الغربية بتهويدها ، وظل يساعد على ذلك وهو خارج السلطة ، وذكر أنه طمع في ضم القدس فيما بعد إلى حدود دولة إسرائيل ، ورفض إدراج حدود الدولة في إعلان الاستقلال لاعتقاده أن الجيش الإسرائيلي هو الذي سيتولى تعيين الحدود لا قرارات الأمم المتحدة.

سادسا: عمارة القدس والمسجد الأقصى:

١- مدينة القدس:

لم تكن مدينة القدس قبل الفتح الإسلامي سنة ١٦هـ/ ٦٣٧م إلا مدينة صغيرة تعرضت لاجتياح الفرس ، ومنذ أن زار الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) هذه المدينة ليستلمها ابتدأ الإعمار الإسلامي ، وكان بدائيًّا

(١) القدس من بن جوريون إلى نتنياهو ، أحمد يوسف القرعي ، ص١٩.

مؤقتًا ؛ إذ أمر الخليفة عمر (رضي الله عنه) أن يُبنى مسجد في مكان صلاته ، وكان يطلق عليه اسم مسجد عمر (رضي الله عنه) ، كما أمر بإنشاء مظلة من الخشب على الصخرة المشرفة في قمة جبل موريا ، واستمرت حتى عهد "عبد الملك بن مروان".

وعندما كان "معاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنه)" واليًا على القدس والشام في عهد عمر (رضي الله عنه) رمم الأسوار واعتنى بالبساتين والأشجار ، وبنى في عكا دارًا لصناعة المراكب والسفن ، وفي مدينة القدس نودي خليفة على المسلمين ، وكان هو مؤسس الدولة الأموية ، واختار قبل دمشق القدس عاصمة لمكانتها عند العرب .

وفي عهد "عبد الملك بن مروان" أمر بإنشاء قبة الصخرة سنة ٧٢هـ/ ٦٩١م ، إنشاء المسجد الأقصى الذي أتمه فيما بعد ابنه الوليد سنة ٩٧هـ/ ٧١٥م ، ولقد أنفق "عبد الملك" مالا وفيرًا في القدس لإنشاء هذين الصرحين للدلالة على قوة الإسلام وانتصاره ، وأمر بتعبيد الطرق بين الشام والقدس لتسهيل سبل الزيارة الدينية المقدسة للحرم القدسي .

وفي قبة الصخرة وبعد إنجازها تقبل "الوليد بن عبد الملك" بيعة الناس له خليفة على المسلمين ، بينما كان أخوه "سليمان" ينشئ "مدينة الرملة" وما فيها من مسجد وقصر ، ودارًا للصناعة ، ثم جاء أخوه "هشام" ليبني "قصر المفجر" في أريحا ، وهو أضخم قصور الأمويين.

ورغم ما أشيع عن إهمال العباسيين لبلاد الشام ، فلقد زار القدس عدد من الخلفاء مثل "المنصور" و"المهدي" و"المأمون" ، وترك كل منهم أثره في إجراء إصلاحات مهمة في المسجد الأقصى وفي قبة الصخرة ، ويعود إلى الخليفة المهدي إعادة بناء المسجد الأقصى سنة ١٥٨هـ/ ٧٤٤م بعد زلزال أتى عليه.

ثم رُزئت بلاد الشام بالاحتلال الصليبي ، وكانت القدس أصلا الهدف الأكثر أهمية ، تم ذلك سنة ٤٩٢هـ/ ١٠٩٩م ، وكان أول ما سعى إليه هؤلاء الغزاة أن جعلوا قبة الصخرة كنيسة ، وهدموا أطراف الأقصى وجعلوه مقرًّا لفرسان الإسبتارية.

وما أن حررها "صلاح الدين الأيوبي" سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م حتى قام بإعادة ترميم مسجد قبة الصخرة ، وسجل ذلك في محيط القبة من الداخل ، وكما كان الأيوبيون أبطالاً في التحرير ، كانوا قدوة في الإعمار والإنشاء ، ففي مدينة القدس وحدها قام "صلاح الدين" بإعادة بناء سور القدس سنة ٥٨٧هـ/ ١١٩١م ، وتابع أولاده ذلك ، كما قام بحفر الخندق حول الأسوار ، وأنشأ "العادل" أخو صلاح الدين الجامع العمري سنة ٥٨٩هـ/ ١١٩٣م ، وبنى سقاية لحفظ الماء وتموين القدس ، وأنشأ ابن صلاح الدين "الأفضل" المدرسة الأفضلية والمسجد ، وأنشأ قبة المعراج سنة ٥٩٨هـ/ ١٢٠١م ، وقبة سليمان ، والزاوية الجراحية ، والمدرسة الناصرية ، وزاوية الدركاه ، وزاوية الهنود.

وتابع المماليك البناء وأصبحت القدس أكثر ازدهارًا في عهدهم ، وخلال حكم الملك الناصر "محمد بن قلاوون" المملوكي ، الذي امتد ثلاثة وأربعين عامًا ، حفلت القدس بالعمائر المملوكية التي كانت نموذجًا رائعًا لتطور العمارة الإسلامية ، ولقد قام محمد بن قلاوون بإنشاء أروقة المسجد الأقصى التي تمتد من "باب الحرم" حتى "باب الغوانمة" ، وعمّر السور القبلي عند "محراب داود" ، وقام بترخيم صدر المسجد الأقصى إلى حائط المسجد الجنوبي ، وجدد تذهيب قبة المسجد الأقصى ، و"قبة الصخرة" سنة ٧٢٠هـ/ ١٣٢٠م ، وعمّر الميازين مقابل باب حطة ومقابل "باب شرف الأنبياء" ، وجدد عمارة باب القطانين ، وعمر "قناة السبيل" عند بركة السلطان ، وهي القناة الداخلة للقدس من "عين العروب" ، وأنشأ جامع القلعة ٧١٠هـ/ ١٣١٠م ويتكون من حرم ذي محراب جميل(١) .

إن المباني الإسلامية التي أنشئت خلال العهود المختلفة تؤكد الشخصية الإسلامية التي تتمتع بها القدس القديمة ، والتي ما زالت محافظة على طابعها التقليدي رغم انتهاكات اليهود وتغييراتهم الواسعة ، كما أن أهم ما يميز مدينة القدس ويؤكد طابعها الإسلامي المقدس هو الحرم الشريف الذي تقوم فيه روائع العمارة الإسلامية وبخاصة قبة الصخرة .

---

(١) انظر: تاريخ القدس ، عارف العارف ، ص ٧٦ وما بعدها بتصرف ، والأصالة الإسلامية في عمارة القدس وزخارفها ، د. عفيف البهنسي ، أبحاث الندوة السادسة "هوية القدس العربية والإسلامية"، عمّان ، أكتوبر ١٩٩٥م.

٢ـ المسجد الأقصى:

يعتبر المسجد الأقصى الحالي في نظر المختصين عملاً معماريًّا يجمع بين البساطة والجلال ، في صورة تندر في غيره من المساجد ، فعلى الرغم من أن بناء جدرانه ليس من السماكة بمكان ، وخاصة تلك الحاملة للقبة الكبرى إلا أن جزءًا كبيرًا من فخامة المسجد يرجع إلى سعة بيت الصلاة ، بحيث تمتلئ النفس مهابة وإجلالاً ، وهذه السعة هي التي جعلت المعماري يسقفه بالخشب القوي فقط.

بينما يرجع الجزء الآخر من الجمال إلى طبيعة الزخرفة المنتشرة في المسجد بكثرة وشمول ، فالفسيفساء تنتشر على الحوائط والقبة من الداخل ، بينما يغطي القيشاني المزخرف جدران المسجد إلى ارتفاع المحراب ، فيضيف ذلك جمالاً بديعًا ، في الوقت الذي تحتل فيه التفريعات النباتية الخارجة من المزهريات - ثم بعد خروجها تنثني وتلتوي حتى تأخذ أحيانًا شكلاً حلزونيًّا- جانبًا مهمًّا من الزخرفة ، هذا إلى جانب الزخرفة بأوراق الأكنتس.

أما الزخرفة الكتابية - وهي جزء مشترك بين زخرفة جميع المساجد - فإنها تغطي مساحات لا بأس بها من جدران المسجد الأقصى بخطوط من أجمل الخطوط العربية ، سواء ما كان منها بالقلم الكوفي أو النسخي ، حتى تكوّن تلك الخطوط أشرطة ناطقة بالجمال الحسي والمعنوي في آن واحد لما تتضمن من عميق المعاني وبديع الصورة [١].

---

(١) منارات الهدى في الأرض ، عبد الله نجيب سالم ، ص ٥٠.

في الختام... إنه يظهر لكل منصف وذي عينين أن القدس بمسجدها الأقصى وطرقها وأزقتها وتاريخها وحضارتها جزء من تاريخ الإسلام والمسلمين وحضارتهم المنتشرة في العالم العربي والإسلامي.

* * *

القدس بين الثوابت الدينية
والتاريخية والوطنية (•)

لا شك أن العرب هم أول من سكن القدس ، وهم (اليبوسيون الكنعانيون) ، ومنهم اتخذت اسمها ، وذلك قبل ٥٠٠٠ عام ، ولنوضح الصورة أكثر نعرض لأهم الثوابت الدينية والتاريخية والوطنية لمدينة القدس ، والتي تمثل حقائق ثابتة تفند أي مزاعم أو ادعاءات تنال من تلك الحقائق.

أولاً: الثوابت الدينية:

١. القدس عاصمة إسلامية:

مدينة القدس أو بيت المقدس الشريف مكان له رمزيته الإسلامية الخاصة ، ومكانته الروحية التي لا تبلى ، وقد سجل القرآن الكريم مكانة هذه المدينة وما حباها الله به من بركات حسيَّة ومعنويَّة في قوله جل شأنه: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}[1].

وقد سمي مسجد مدينة القدس بالأقصى لبعد المسافة ما بينه وبين المسجد الحرام ، وأما البركة التي عبر عنها قوله تعالى: { الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ } فهي ما أنعم الله به على أهل تلك المنطقة من بركات حسيَّة تتمثل في الثمار

(•) كتب هذا البحث: أ.د/ أحمد ولد النيني ، وزير الشئون الإسلامية والتعليم الأسبق بدولة موريتانيا.

(١) سورة الإسراء:١.

والزروع والأنهار ، وبركات معنويَّة روحيَّة تتمثل في أن القدس ظلت مهبط الأنبياء والمرسلين والصالحين ، وقبل كل ذلك معراج إمام المرسلين سيدنا محمد بن عبد الله عليه أكمل الصلوات وأتم التسليم.

٢ـ القدس أرض النشر والحشر:

مما يعبر عن المكانة الدينية العظيمة لمدينة القدس أنها أرض النشر والحشر ، فعن ميمونة (رضي الله عنها) مولاة رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قالت: قلت: "يا رسول الله أفتنا في بيت المقدس ، قال : أرض المحشر والمنشر ، ائتوه فصلوا فيه ، فإن الصلاة فيه كألف صلاة في غيره"[(١)].

وفي هذه المدينة الحبيبة إلى قلوب المسلمين دفن الكثير من أجلَّاء الصحابة وأئمة التابعين ، منهم: عبادة بن الصامت ، وشداد بن أوس (رضي الله عنهما).

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر (رضي الله عنه) قال: سألت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن أول مسجد وضع على الأرض ، فقال: "المسجد الحرام" ، فقلت: ثم أي ، قال: "المسجد الأقصى" ، قلت: وكم بينهما ، قال: "أربعون عامًا"[(٢)].

---

(١) سنن ابن ماجه ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ما جاء في الصلاة في بيت المقدس ، حديث رقم ١٤٠٧.

(٢) صحيح مسلم : كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، حديث رقم ٥٢٠.

وللمسجد الأقصى ارتباط شديد بالعقيدة الإسلامية ، فهو مقر للعبادة ، ومهبط للوحي ، ومنتهى لرحلة إسراء نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وبداية لرحلة معراجه.

٣ـ **موقع القدس في العقيدة الإسلامية**:

أخذت القدس مكانتها في العقيدة الإسلامية من منطلقات عقدية هي:

أـ القدس مدينة الأنبياء:

من المعروف أن الإسلام يتأسس في أصوله العقدية على الإيمان التام بكل الرسل وكل الأنبياء وكل الرسالات السماوية ، قال الله تعالى:{ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ الله يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ }(١) ، فالإسلام جاء مصدقًا لما سبقه من رسالات سماوية ، قال تعالى:{ نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ الله لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالله عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ } (٢) ، وقال تعالى:{ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ الله وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ الله لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً

---

(١) سورة الشورى: ١٣.

(٢) سورة آل عمران: ٣-٤.

وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ }[1] ، وقال جل وعلا موضحًا حقيقةً إيمانيةً قائمةً لا ينكب عن منهاجها أي مسلم:{ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بالله وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ }[2].

ويأتي الاستشهاد بما تقدم من آيات قرآنية في نطاق التدليل على أن الكثير من الأنبياء والرسل ممن وردت أسماؤهم في النص القرآني أقاموا في يوم ما في القدس ، أو كانت لهم صلة بها ، مثل: إبراهيم الخليل ، ويعقوب ، وإسحاق ، ويحيى ، وعيسى ، وزكريا ، وصالح ، وغيرهم من أنبياء الله ورسله (صلوات الله وسلامه عليهم) ، ومما يقوي الرباط الروحي ما بين القدس والمسجد الأقصى من جهة ؛ وأنبياء الله (عليهم الصلاة والسلام) من جهة أخرى قول عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما): "بيت المقدس بنته الأنبياء وعمرته ، وما فيه موضع شبر إلا وقد سجد عليه ملك"[3] ، وفي نفس السياق يدخل قول مقاتل بن سليمان: "ما فيه موضع شبر إلا وقد صلى عليه نبي مرسل أو قام عليه ملك مقرب"[4].

---

(١) سورة المائدة : ٤٨.

(٢) سورة البقرة : ٢٨٥.

(٣) إتحاف الأخصا بفضائل المسجد الأقصى ، ص ٢٤.

(٤) المرجع السابق .

ب- القدس مدينة الإسراء والمعراج:

لقد ربطت حادثة الإسراء والمعراج ربطًا لا انفصام له بين المكانين المقدسين: مكة المكرمة والقدس الشريف ، وذلك من خلال هذا الحدث الروحي العظيم الذي وثقه القرآن الكريم بقوله سبحانه وتعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}[(١)].

ومما يعزز مكانة القدس في أسس العقيدة الإسلامية أن النبي (صلى الله عليه وسلم) صلى فيها إمامًا بالملائكة والأنبياء ، فقد جاء في قصة الإسراء أن النبي (صلى الله عليه وسلم) ليلة أسري به وقف البراق في الموقف الذي كان يقف فيه الأنبياء من قبل ، قال: ثم دخل جبريل أمامه فأذن جبريل عليه السلام ونزل الملائكة من السماء وحشر الله المرسلين ثم أقام وصلى عليه الصلاة والسلام بالأنبياء[(٢)] ، كما ورد في كتب التفسير أن قوله تعالى: {وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ}[(٣)] ، نزل في بيت المقدس ليلة الإسراء[(٤)] ، كما ورد عن أبي همام الباهلي أن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال: "أنزلت عليَّ النبوة في ثلاثة

---

(١) سورة الإسراء : ١.

(٢) درج الدُّرر في تفسير الآي والسُّور ، أبو بكر عبد القاهر الفارسي الجرجاني ١/ ٣٢٣ (مجلة الحكمة)، بريطانيا ، وتفسير الطبري٢١/ ٦١٢.

(٣) سورة الزخرف : ٤٥.

(٤) فتح الرحمن في تفسير القرآن ٤/ ٦،٧٣/ ٢٠٤.

أمكنة بمكة والمدينة والشام"[1] ، ويتفق علماء المسلمين على أن حادثة الإسراء والمعراج حصلت في وقت مبكر من البعثة النبوية مع اختلاف اجتهاداتهم في تحديد تاريخها ، حيث يرى البعض أنها وقعت قبل الهجرة بثلاث سنوات[2] ، فيما رأى آخرون أنها وقعت قبل سنة واحدة من الهجرة، ويذهب البعض إلى أنها حدثت قبل الهجرة بخمس سنوات ، وعلى كلٍّ فإن كل ذلك دال على وقوعها في عهد مبكر من ظهور الدعوة الإسلامية.

ج ـ القدس قبلة المسلمين الأولى:

ظلت القدس على مدى ستة أو سبعة عشر شهرًا قبل الهجرة إلى المدينة قبلة صلاة المسلمين ، ثم جاء التحول إلى مكة بأمر رباني في السنة الثانية من الهجرة انطلاقًا من قوله تعالى:{ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا الله بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ}[3].

وتأسيسًا على هذه الأصول العقدية والمنطلقات الروحية التي تبين مكانة القدس في العقيدة الإسلامية ترتبت فضائل كثيرة لبيت المقدس يمكن

---

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك ٤/ ٥٥٥، حديث رقم ٨٥٥٦.

(٢) سبل الهدى والرشاد ٣/ ٦٥، والإشارة إلى سيرة المصطفى وتاريخ من بعده من الخلفاء ، ص١٣٥.

(٣) سورة البقرة : ١٤٤.

تلخيصها انطلاقًا من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة فيما يلي:

فضل الإقامة والسكن في بيت المقدس:

روي عن ميمونة زوج رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أنها سألت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) عن بيت المقدس فقال: "نعم المسكن بيت المقدس"[١] ، وفي نفس السياق يدخل قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدي هذا"[٢].

فضل الإهلال بالحج والعمرة من بيت المقدس:

من الأحاديث الواردة في فضل الإهلال بالحج والعمرة من بيت المقدس ما روته أم سلمة (رضي الله عنها) من أنها سمعت رسول الله (صلى الله عليه وسلم) يقول: "من أهلَّ بحجة أو عمرة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، ووجبت له الجنة"[٣].

فضل الصلاة في بيت المقدس:

تكمن أهمية الصلاة ببيت المقدس في أنها تطهر المصلي من الذنوب ليعود كما ولدته أمه ، وقد روي عن مكحول أنه قال: "أن من صلى في بيت

---

(١) البلدانيات: شمس الدين السخاوي، تحقيق/ حسام القطان ، دار العطاء ، السعودية ٢٠٠١م.

(٢) صحيح البخاري ، كتاب التهجد ، باب فضل الصلاة في مسجد والمدينة ، حديث رقم ١١٨٩، وصحيح مسلم ، كتاب الحج ، باب لا تشد الرحال إلا لثلاثة مساجد ، حديث رقم ١٣٩٧.

(٣) سنن أبي داود ، كتاب المناسك ، باب في المواقيت ، حديث رقم ١٧٤١.

المقدس ظهرًا وعصرًا وعشاءً وصبحًا ثم صلى الغداة خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه"[1].

كما أن فضل الصلاة في المسجد الأقصى يتراوح استنادًا إلى الأحاديث النبوية الشريفة إلى ما بين ألف صلاة وخمسين ألف صلاة ، من حديث أبي الدرداء.

ولقد كتب الكثير عن فضائل بيت المقدس حتى بلغ عدد المصنفات الموضوعة في هذه الفضائل نحو ستين مصنفًا ، وربما وجدت في هذه المصنفات أحاديث موضوعة إلى جانب الصحيح من الأحاديث الشريفة ، لكن وجود الأحاديث الموضوعة لا ينقص من المكانة البَيِّنَة التي أولاها رسول الله (صلى الله عليه وسلم) لبيت المقدس ، وبُشْراه الأولى بفتحها بعد سنوات قليلة من وفاته ، وبُشراه الثانية بفتحها بعد أن تؤخذ من يد المسلمين.

والحديث بأن القدس أرض الرباط إنما يؤكد أيضًا على حث الرسول (صلى الله عليه وسلم) للمسلمين على الدفاع عن المكان المقدس والمستهدف من أعداء الإسلام ، وكذلك قول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) في شأن اليهود المعتدين بأنه: "لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيقتلهم المسلمون ، حتى يختبئ اليهودي من وراء الحجر والشجر ، فيقول الحجر أو

---

(١) الدرر المنثور في التفسير بالمأثور ٥/ ٢٣٥.

الشجر: يا مسلم ، يا عبد الله ، هذا يهودي خلفي فتعال فاقتله إلا الغرقد من شجر اليهود[١].

وفي مسند أحمد بن حنبل (رحمه الله) قال النبي (صلى الله عليه وسلم): "لا تزال طائفة من أمتي على الدين ظاهرين لعدوهم قاهرين ، لا يضرهم من خالفهم ، إلا ما أصابهم من لأْوَاء حتى يأتيهم أمر الله وهم كذلك ، قالوا: يا رسول الله وأين هم؟ قال : ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس"[٢].

ثانيًا: الثوابت التاريخية:

يعود تاريخ مدينة القدس إلى أكثر من خمسة آلاف سنة ، فهي إحدى أقدم مدن العالم ، وتعبر كثرة أسمائها عما تميزت به من عراقة ومكانة تاريخية خاصة ، فهي "أورشاليم" حسب ما أطلق عليها "اليبوسيون" (إحدى القبائل الكنعانية العربية) الذين نزحوا من الجزيرة العربية واستوطنوا بها في الألف الثالثة قبل الميلاد ، وتعني كلمة "أورشاليم" مدينة ساليم: أمير عربي كنعاني ، أو مدينة السلام.

ومن هذه التسمية اشتقت "أورشاليم" التي تنطق بالعبرية "يروشاليم" وتعني: البيت المقدس ، أو مدينة السلام ، وقد أطلق عليها اليونانيون "إيلياء" وتعني: بيت الله .

(١) صحيح مسلم: كتاب الفتن، باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، حديث رقم٢٩٢٢.

(٢) مسند أحمد ، مسند أبي أمامة الباهلي ، حديث رقم ٢٢٣٢٠.

لم يتجاوز حكم اليهود لمدينة القدس أكثر من ثلاثة وسبعين عامًا على مدي تاريخها الذي يزيد عن خمسة آلاف سنة ، فقد فتحها داود – عليه السلام– سنة ٩٧٧ أو ١٠٠٠ ق.م ، وأطلق عليها مدينة داود ، وبعد أربعين سنة من حكمه خلف عليها ابنه سليمان (عليه السلام) الذي استمر حكمه لها ثلاثة وثلاثين عامًا.

١ـ القدس تحت الحكم الفارسي:

بعد وفاة سليمان بن داود (عليهما السلام) انقسمت الدولة فصارت مدينة القدس تسمى "أورشليم" ، وهو اسم مشتق من اسمها العربي الكنعاني الذي ذكرناه سابقًا.

لقد كان من نتائج انقسام مملكة داود وما حلَّ بها من ضعف وتمزق أن اجتاحها الملك الفارسي "نبوخذ نصَّر" المعروف في الكتب الإسلامية بـ "بختنصر" سنة ٥٨٦ ق.م ، ودمرها ، ونقل اليهود منها إلى بابل.

ولما استولى الفرس على سورية وفلسطين وافق الملك الفارسي "كورش" سنة ٥٣٨ ق.م على عودة أسرى اليهود إلى القدس "أورشليم".

٢ـ القدس والإسكندر المقدوني:

بقيت القدس تحت النفوذ الفارسي الذي شمل جل منطقة الشام أيضًا إلى أن اجتاح الإسكندر المقدوني سنة ٣٣٢ ق.م المنطقة ، فاحتل مدينة القدس ، فتأرجحت الغلبة في عهد خلفائه من بطالمة وسلوقيين ، وقد

عرفت هذه الفترة من تاريخ مدينة القدس بالعهد الهلنستي ، حيث تأثر سكان المدينة بالحضارة الإغريقية .

٣ـ القدس والعهد الروماني:

في سنة ٦٣ ق.م اجتاح القائد الروماني "بومبي" مدينة القدس منهيًا بذلك العهد الإغريقي ، وفي سنة ٣٧ ق.م نصب الروماني "هيرودس الأدومي" – الذي اعتنق اليهودية– ملكًا على منطقة الجليل وبلاد يهوذا ، فظل "هيرودس" يحكم مدينة القدس باسم الرومان حتى السنة الرابعة للميلاد.

وفي عهد الإمبراطور الروماني "نيرون" توترت العلاقة ما بين اليهود والرومان حيث قام القائد "تيتوس" سنة ٧٠ للميلاد باحتلال مدينة القدس والفتك بمن فيها من يهود ، ولما حاولوا الخروج على الحكم بقيادة "باركوخيا" سنة ١٣٢م ، بادر الإمبراطور "هادريانوس" إلى الفتك بهم وإخماد ثورتهم سنة ١٣٥م ، حيث خرب القدس "أورشليم" وأسس مستعمرة "إيلياء" عاصمة مكانها ، وقد أصدر مرسومًا يمنع بموجبه اليهود دخول هذه المستعمرة.

ولما وصل الحكم إلى يد الإمبراطور الروماني" قسطنطين الأول" الذي اعتنق المسيحية وأعلنها دينًا رسميًّا للدولة ؛ نقل عاصمة الإمبراطورية من روما إلى بيزنطة ، وأعاد للقدس اسمها القديم "أورشليم" ، وفي عهد هذا الإمبراطور تم بناء كنيسة القيامة سنة ٣٢٦م –٣٣٥م.

٤ـ القدس والفتح الإسلامي (٦٣٦هـ):

عبَّرت حادثة الإسراء بالنبي (صلى الله عليه وسلم) من المسجد الحرام بمكة إلى المسجد الأقصى بالقدس عن أول علاقة عقدية روحية بين المسلمين ومدينة القدس.

وبعد هزيمة الروم في معركة اليرموك خلال الفتح الإسلامي لمنطقة الشام أصبح الطريق مفتوحًا إلى بيت المقدس سنة ٦٣٦م/ ١٥هـ أو ٦٣٨م - على اختلاف في المصادر- حيث طلب قائد الجيوش الإسلامية أبو عبيدة ابن الجراح (رضي الله عنه) من خليفة المسلمين أن يستجيب لطلب بطريك القدس "صفرونيوس" الذي اشترط تسليم المدينة لعمر بن الخطاب (رضي الله عنه) مقابل أمان يكتبه للسكان ، وقد قبل الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) هذا الشرط الذي كان من نتائجه ما عرف بالعهدة العمرية ؛ وهي الوثيقة التي نصت - بناء على طلب المسيحيين - على أن هؤلاء المسيحيين والمسلمين الجدد لا يجوز أن يساكنهم أحد من اليهود ، كما تم تغيير اسم المدينة انطلاقًا من هذه الوثيقة من "إيلياء" إلى "القدس" ، ومنذ ذلك التاريخ أخذت مدينة القدس طابعها الإسلامي.

٥ ـ القدس في العهدين الأموي والعباسي:

أَوْلَى الأمويون والعباسيون القدس مكانة كبيرة ، فقد بنى عبد الملك بن مروان قبة الصخرة سنة ٧٢هـ-٦٩١م ، ورمم الوليد بن عبد الملك المسجد الأقصى حوالي ٩٠هـ ، كما زارها من الخلفاء العباسيين كل من أبي جعفر

المنصور (١٣٦-١٥٨هـ) ، والمهدي (١٥٨-١٦٩هـ/ ٧٧٥-٧٨٥م) ، والمأمون بن هارون الرشيد (١٩٨-٢١٨ هـ/ ٨١٣-٨٣٣م).

وقد قام هؤلاء الخلفاء بتجديدات وتحسِّينات في كل من المسجد الأقصى وقبة الصخرة إثر ما أصابها من خراب نتيجة الزلازل المتعددة.

٦ـ القدس في عهد الطولونيين والإخشيديين :

أولى الطولونيون والإخشيديون القدس منزلة خاصة ، وقد حكمها الطولونيون ابتداء من سنة ٢٦٥هـ/ ٨٧٨م ، وتلاهم الإخشيديون ٣٢٧هـ/ ٩٣٩م ، وقد حظيت بمكانة خاصة عند الإخشيديين بدليل أن جميع ملوكهم دُفنوا فيها بناء على وصاياهم.

٧ـ القدس في عهد الفاطميين والسلاجقة:

حكم الفاطميون القدس سنة ٣٥٩هـ/ ٩٦٩م ، وفي عهد الدولة الفاطمية استولى الصليبيون على مدينة القدس سنة ٥٢١هـ / ١٠٩٩م وبقيت تحت سلطتهم حتى عام ٦٠٩هـ / ١١٨٧م حيث استعادها "صلاح الدين الأيوبي" إثر معركة "حطين" الشهيرة ، وحين استعاد "صلاح الدين" مدينة القدس عين الأئمة للتدريس ، وبنى منبر المسجد الأقصى الذي كان الأمير نور الدين محمود بن زنكي أمر بصنعه ، كما دشن "صلاح الدين الأيوبي" عدة إنشاءات إسلامية في مدينة القدس نذكر منها : "مدرسة الشافعية" المعروفة بالصلاحية نسبة لصلاح الدين ، وكذلك

خانقاه للصوفية (زوايا) ، ومستشفى(مارستان) ، وليعطي "صلاح الدين" أهمية خاصة لهذه الإنجازات أشرف بنفسه عليها حتى إنه شارك بيديه في بناء سور القدس.

بعد "صلاح الدين" تولى حكم مدينة القدس ابنه الملك الأفضل الذي جعل المنطقة الواقعة إلى الجنوب الشرقي من الحرم وقفًا على المغاربة ، وذلك سعيًا منه لحماية منطقة البراق المقدسة ، كما قام بإنشاء مدرسة جديدة.

أما الملك الأيوبي عيسى بن محمد أيوب ، فقد أجرى إصلاحات هامة في المسجد الأقصى وقبة الصخرة ، كما بنى عدة مدارس للمذهب الحنفي (كان هذا الملك الحنفي الوحيد من بين أفراد الأسرة الأيوبية) ، وحين دمر الملك أسوار القدس خوفًا من استيلاء الصليبيين عليها ، اضطر سكانها إلى الهجرة، وبعد فترة وجيزة من هذا الإخفاق ، عقد الملك الكامل اتفاقية مع الإمبراطور "فردريك الثاني" ملك الفرنجة ، سلمه بموجبها القدس باستثناء الحرم الشريف ، فاستلم الصليبيون مدينة القدس سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م ، فبقيت القدس سليبة أسيرة في أيدي الصليبيين إلى أن استردها الملك الناصر داود ابن أخي الكامل عام ٦٣٧ هـ/ ١٢٣٩م ، ثم عادت مدينة القدس إلى المسلمين نهائيًّا سنة ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م عندما استرجعها الملك الصالح نجم الدين أيوب ملك مصر.

٨ـ القدس في عهد المماليك:

أصبحت القدس ضمن سلطة المماليك ابتداء من سنة ٦٥١هـ/ ١٢٥٣م، وفي العهد المملوكي حظيت باهتمام كبير من طرف جُلّ سلاطينهم وخصوصًا الظاهر بيبرس (ت٦٧٦هـ/ ١٢٧٧م) وسيف الدين قلاوون الذي تولي الحكم من ٦٧٩-٦٨٩هـ/ ١٢٨٠- ١٢٩٠م ، والناصر محمد بن قلاوون ٧٤١هـ/ ١٣٤٠م ، والأشرف قايتباي الذي تولى السلطة من ٨٩٣-٩٠٣هـ/ ١٤٨٦-١٤٩٦م.

وقد تمثل اهتمام سلاطين المماليك بمدينة القدس في الإكثار من زياراتها وتفقد أحوالها ، إضافة لما أنجزوه من إنشاءات دينية ومدنية أصحبت آية ومثالاً في فن العمارة الإسلامية ، فقد أجروا عدة تحسينات في قبة الصخرة والمسجد الأقصى ، كما بنوا زهاء خمسين مدرسة إضافة إلى عشرات الزوايا ، وليعطي المماليك أهمية خاصة لمدينة القدس جعلوها ابتداء من سنة ٧٧٧هـ، نيابة مستقلة تابعة للسلطان في القاهرة مباشرة ، بعد أن كانت تابعة لنيابة دمشق ، وفي عهد المماليك أصبحت القدس من أهم المراكز ، وقد عثر في سنة ١٩٧٤م على عدة وثائق تعود للعصر المملوكي وهي وثائق هامة ؛ لأنها تعطي معلومات عن تاريخ المدينة في هذه الحقبة التي عرفت فيها ازدهارًا كبيرًا.

٩ـ القدس والاحتلال البريطاني ١٩١٧ـ ١٩٤٨م:

سقطت مدينة القدس بيد الجيش البريطاني في ٨-٩ / ١٢/ ١٩١٧م وقد أعلن الجنرال البريطاني اللنبي احتلال القدس انطلاقًا من بيان أذاعه.

ومنذ سقوط مدينة القدس بيد الجيش البريطاني استهدفت المنطقة الفلسطينية بصفة عامة ومدينة القدس بصفة خاصة بهجرة متزايدة نحوها من طرف يهود العالم ، وهي الهجرة التي اتضحت مطامحها ونياتها منذ وعد بلفور سنة ١٩١٧م ، وابتداء من ١٩٢٠م وحتى ١٩٤٨م كانت مدينة القدس عاصمة لمنطقة فلسطين الواقعة تحت الانتداب البريطاني ، وقد أحيل ملف القدس إلى الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية ، فأصدرت قرارًا بتدويل القدس في ٢٩ من نوفمبر ١٩٤٧م.

١٠- نهاية الانتداب البريطاني:

أعلنت بريطانيا في العام ١٩٤٨م إنهاء انتدابها في فلسطين فاستغلت العصابات الصهيونية ما خلف ذلك الإعلان من فراغ سياسي وعسكري وقامت بإعلان الدولة الإسرائيلية ، وفي الثالث من ديسمبر سنة ١٩٤٨م أعلن رئيس وزراء إسرائيل "ديفيد بن جوريون" أن القدس الغربية عاصمة للدولة الإسرائيلية الجديدة ، في حين أصبحت القدس الشرقية خاضعة لسيادة المملكة الأردنية الهاشمية ، وإثر هزيمة يونيو ١٩٦٧م ضم الاحتلال الإسرائيلي القدس بأكملها إلى سلطته.

ثالثًا: الثوابت الوطنية:

إن مسئولية استرداد القدس الشريف مسئولية جميع المسلمين والعرب ، وكافة أصحاب الضمائر الحية ومناصري القضايا الوطنية ، وفي هذا الإطار فإننا نشيد بمستوي نضال جميع الفلسطينيين حيث ضحوا بالأرواح

وبالغالي والنفيس سعيًا إلى استرجاع حقهم الوطني في الاستقلال والعودة والعيش الكريم داخل وطنهم العزيز ، هذا النضال المستمر الذي يتعزز يومًا بعد يوم في ظل هيمنة القوة الاحتلالية اليهودية وأعوانها ، أضف إلى ذلك ما يعانيه الشعب العربي الفلسطيني جراء الجدار العنصري العازل الذي يخالف جميع الاتفاقيات والنظم والأعراف الدولية ؛ والذي سبب آلامًا للفلسطينيين وتشريد مئات الآلاف منهم عن مساكنهم.

إن القدس الشريف يحتل مكانة خاصة في قلوب المسلمين عمومًا والعرب بصورة خاصة ، حيث إن عروبة القدس الشريف تتجاوز المجال الزمني لدعوة الإسلام وبداية الدولة الإسلامية إلى حقب ضاربة في القدم ، حيث ظهر فيها العرب عرقًا من الأعراق البشرية ، وحيث إن شهادة ميلاد القدس الشريف تؤكد أنها عربية الأصل في النشأة والتكوين ، وفي الهوية الحضارية والإنسانية .

ولقد ظلت فلسطين التي تعتبر مدينة القدس قلبها النابض منطقة من الوطن العربي ، سكنها الكنعانيون العرب وأحفادهم الفلسطينيون منذ غابر الزمان ، وأنشأوا فيها حضارة مزدهرة ، ومأهولة بشعوب عربية تنحدر من الكنعانيين قبل أن يكون لليهود وجود ، حيث شهدت منذ الألف الرابعة قبل الميلاد استقرارًا بشريًّا وعمرانيًّا ، ذلك أن "سالم اليبوسي الكنعاني" العربي حوالي ٣٥٠٠ ق.م أسس مدينة القدس لتكون عاصمة

لدولة يبوس العربية ، وهذا ما ينفي مزاعم أن القدس تأسس حوالي سنة ١٠٠٠ ق.م على يد داود عليه السلام.

والحديث عن القدس اليوم ، واستحضارها في الذاكرة كواقع ، وإبراز أهميتها في جميع المحافل الدولية ؛ هو حديث عن جوهر الثوابت الوطنية والعقدية الراسخة تجاهها.

* * *

مدينة القدس
أمانة الدين والتاريخ (*)

القدس أولى القبلتين ، وأحد المساجد الثلاثة التي لا تشد الرحال إلا إليها ، وهي أرض النبوات وزهرة المدائن ، وموضع أنظار البشر منذ أقدم العصور ، ويرجع تاريخ مدينة القدس إلى أكثر من خمسة آلاف سنة.

والقدس بذلك تُعدّ واحدة من أقدم مدن العالم ، وتدل الأسماء الكثيرة التي أطلقت عليها على عمق هذا التاريخ ، وقد تناولت العديد من الكتب والمراجع والدراسات مدينة القدس ومكانتها عبر العصور والأزمنة ، لأهميتها التاريخية والدينية عند العرب والمسلمين والمسيحيين ، وجميع المؤمنين على حد سواء.

إلا أن هناك محاولات تعمل على تزوير جغرافية القدس وديموجرافيتها؛ من أجل إلغاء الهوية الوطنية للشعب الفلسطيني صاحب الأرض والشرعية ، وحرمانه من حقوقه المشروعة ، وذلك بتسريع خطوات تهويد القدس العربية بالتزامن مع تشجيع المتطرفين الإسرائيليين على تكرار الهجمات على المسجد الأقصى المبارك ؛ تمهيدًا وتوطئة لهدمه ، وإقامة ما يسمى بهيكل سليمان المزعوم مكانه ، مما سيؤدي حتمًا إلى انفجار الأوضاع

(*) كتب هذا البحث: أ.د/ محمود الهباش، وزير الأوقاف والشئون الدينية الأسبق بدولة فلسطين.

ليس في القدس وفلسطين المحتلة فحسب ، بل في العالم العربي والإسلامي وعلى امتداد العالم كله.

إنه إنذار بعيد عن المبالغة ، بل ينطلق من الواقع ، ثم من المعاني الدينية والتاريخية والإنسانية للقدس والمقدسات الإسلامية والمسيحية ، لا سيما المسجد الأقصى المبارك ؛ فالقدس ترزح تحت نير احتلال غاشم وظالم ، وهذه المدينة اللؤلؤة مهددة بالتهويد ، ومقدساتها الإسلامية والمسيحية معرضة للتدمير لسلخها كليًّا عن واقعها العربي بعد محاولات وممارسات التخريب والتهويد بشكل منهجي متواصل ومبرمج ، مع إجراءات المصادرة والهدم وترويج المزاعم ، ومحاولات إحراق المسجد الأقصى المبارك، وتهديد أساسه وبنيانه من خلال عمليات الحفر والتنقيب التي يؤكد الخبراء وعلماء الآثار وبينهم إسرائيليون أنهم لم يعثروا – نتيجتها – على مَعْلَمٍ واحد في القدس يثبت أباطيلهم التي يزعمونها.

إن هذا البحث الموجز يرمى إلى التذكير بأهمية القدس ودورها في تجميع العرب والمسلمين والمسيحيين للدفاع عن معالمها الدينية التي تتعرض للتدمير.

أولاً: مدينة القدس عبر التاريخ:

يرجع تاريخ مدينة القدس إلى أكثر من خمسة آلاف سنة ، وهي بذلك تعد واحدة من أقدم مدن العالم ، وتدل الأسماء الكثيرة التي أطلقت عليها على عمق هذا التاريخ ، وقد أطلقت عليها الشعوب والأمم التي استوطنتها

أسماء مختلفة ، فالكنعانيون الذين هاجروا إليها في الألف الرابعة قبل الميلاد أسموها "أورساليم" ؛ وتعني مدينة السلام أو مدينة الإله "ساليم" ، واشتقت من هذه التسمية كلمة "أورشليم" التي تنطق بالعبرية "يروشاليم" ومعناها البيت المقدس ، ثم عرفت في العصر اليوناني باسم إيلياء ومعناه بيت الله.

ومن أهم الأعمال التي قام بها الكنعانيون في القدس شق نفق لتأمين وصول المياه إلى داخل المدينة من نبع جيحون الذي يقع في وادي قدرون ، والذي يعرف اليوم بعين سلوان.

١ـ سكان القدس الأصليون : سكنت قبيلة اليبوسيين – أحد البطون الكنعانية العربية – المدينة حوالي عام ٢٥٠٠ ق.م فأطلقوا عليها اسم "يبوس".

٢ـ العصر الفرعوني: خضعت مدينة القدس للنفوذ المصري الفرعوني بدءًا من القرن ١٦ ق.م ، وفى عهد الملك إخناتون تعرضت لغزو "الخابيرو" وهم قبائل من البدو ، ولم يستطع الحاكم المصري "عبدي خيبا" أن ينتصر عليهم ، فظلت المدينة بأيديهم إلى أن عادت مرة أخرى للنفوذ المصري في عهد الملك "سيتي الأول" ١٣١٧ – ١٣٠١ ق.م.

٣ـ العصر اليهودي: دام حكم اليهود للقدس ٧٣ عامًا فقط من عمر تاريخها الذي امتد لأكثر من خمسة آلاف سنة ، فقد استطاع داود (عليه السلام) السيطرة على المدينـة في عام ٩٧٧ أو ١٠٠٠ ق.م وسماهـا مدينـة

داود ، وشيد بها قصرًا وعدة حصون ، ودام حكمه ٤٠ عامًا ، ثم خلفه من بعده ولده سليمان الذي حكمها ٣٣ عامًا ، وبعد وفاة سليمان (عليه السلام) انقسمت الدولة في عهد ابنه " رحبعام" وأصبحت المدينة تسمى "أورشليم" ، وهو اسم مشتق من الاسم العربي الكنعاني "شاليم" أو"ساليم" الذي أشارت التوراة إلى أنه حاكم عربي يبوسي كان صديقًا لإبراهيم (عليه السلام).

٤ـ العصر البابلي: احتل الملك البابلي "نبوخذ نصَّر" الثاني مدينة القدس عام ٥٨٦ ق.م ، ونقل من بقي فيها من اليهود أسرى إلى بابل بمن فيهم الملك "صدقيا " نفسه.

٥ـ العصر الفارسي: سمح الملك الفارسي "قورش" عام ٥٣٨ ق.م لمن أراد من أسرى اليهود في بابل بالعودة إلى القدس.

٦ـ العصر اليوناني: استولى " الإسكندر الأكبر" على فلسطين بما فيها القدس عام ٣٣٢ ق.م ، وبعد وفاته استمر خلفاؤه المقدونيون والبطالمة في حكم المدينة ، ثم استولى عليها "بطليموس" وضمها مع فلسطين إلى مملكته في مصر عام ٣٢٣ ق.م ، ثم في عام ١٩٨ ق.م أصبحت تابعة للسلوقيين في سوريا بعد أن ضمها "سيلوكس نيكاتور" ، وتأثر السكان في تلك الفترة بالحضارة الإغريقية.

٧ـ القدس تحت الحكم الروماني: استولى قائد الجيش الروماني

"بومبيجي" على القدس عام ٦٣ ق.م وضمها إلى الإمبراطورية الرومانية ، وشهد الحكم الروماني للقدس والذي استمر حتى عام ٦٣٦م حوادث كثيرة ، ففي الفترة من ٦٦ إلى ٧٠م قام اليهود في القدس بأعمال شغب وعصيان مدني قمعها الحاكم الروماني تيطس بالقوة ، فأحرق المدينة وأسر كثيرًا من اليهود ، وعادت الأمور إلى طبيعتها في ظل الاحتلال الروماني للمدينة المقدسة ، ثم عاود اليهود التمرد وإعلان العصيان مرتين في عامي ١١٥ و١٣٢م ، وتمكنوا بالفعل من السيطرة على المدينة ، إلا أن الإمبراطور الروماني "هدريان" تعامل معهم بعنف ، وأسفر ذلك عن تدمير القدس للمرة الثانية ، وأخرج اليهود المقيمين فيها ولم يُبق إلا المسيحيين ، ثم أمر بتغيير اسم المدينة إلى "إيلياء" واشترط ألا يسكنها يهودي.

كما نقل الإمبراطور الروماني قسطنطين الأول عاصمة الإمبراطورية الرومانية من روما إلى بيزنطة ، وأعلن المسيحية ديانة رسمية للدولة ؛ فكانت نقطة تحول بالنسبة للمسيحيين في القدس حيث تم البدء في بناء كنيسة القيامة عام ٣٢٦م.

٨ـ عودة الفرس: انقسمت الإمبراطورية الرومانية عام ٣٩٥م إلى قسمين متناحرين مما شجع الفرس على الإغارة على القدس ، ونجحوا في احتلالها في الفترة من ٦١٤ إلى ٦٢٨م ، ثم استعادها الرومان مرة أخرى ، وظلت بأيديهم حتى الفتح الإسلامي عام ٦٣٦م.

٩ـ الإسراء والمعراج: في عام ٦٢١م تقريبًا شهدت القدس زيارة النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) ، فقد أُسْرِي به ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى ثم عُرِج به منها إلى السماء.

١٠ـ العصر الإسلامي الأول: دخل الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) مدينة القدس سنة ٦٣٦م / ١٥ هـ - أو ٦٣٨م على اختلاف في المصادر- بعد أن انتصر الجيش الإسلامي بقيادة أبي عبيدة عامر بن الجراح (رضي الله عنه) ؛ حيث اشترط البطريرك "صفرونيوس" أن يتسلم عمر (رضي الله عنه) المدينة بنفسه ، فكتب معهم "العهدة العمرية" ، وهي وثيقة منحتهم الحرية الدينية والحماية مقابل الجزية ، وغَيَّر اسم المدينة من " إيلياء " إلى " القدس" ، ونصت الوثيقة بناء على رغبتهم ألا يساكنهم أحد من اليهود ، واتخذت المدينة منذ ذلك الحين طابعها الإسلامي ، واهتم بها الأمويون (٦٦١ - ٧٥٠م) والعباسيون (٧٥٠ - ٨٧٨م) وشهدت نهضة علمية في مختلف الميادين.

ومن أهم الآثار الإسلامية في تلك الفترة: " مسجد قبة الصخرة" الذي بناه عبد الملك بن مروان في الفترة من ٦٨٢ - ٦٩١م ، وأعيد بناؤه عام ٧٠٩م ، وشهدت المدينة بعد ذلك عدم استقرار بسبب الصراعات العسكرية التي نشبت بين العباسيين والفاطميين والقرامطة ، وخضعت القدس لحكم السلاجقة عام ١٠٧١م.

١١ـ القدس إبان الحملات الصليبية: سقطت القـدس في أيدي الصليبيين عام ١٠٩٩م بعد خمسة قرون من الحكم الإسلامي نتيجة صراعات على السلطة بين السلاجقة والفاطميين وبين السلاجقة أنفسهم ، وقتل الصليبيون فور دخولهم القدس قرابة ٧٠ ألفًا من المسلمين ، وانتهكوا المقدسات الإسلامية ، وقامت في القدس منذ ذلك التاريخ مملكة لاتينية تُحْكَم من قِبَلِ ملك كاثوليكي فرض الشعائر الكاثوليكية على المسيحيين الأرثوذكس مما أثار غضبهم.

١٢ـ العصر الإسلامي الثاني: استطاع "صلاح الدين الأيوبي" استرداد القدس من الصليبيين عام ١١٨٧م بعد معركة حطين ، وعامل أهلها معاملة طيبة ، واهتم بعمارة المدينة وتحصينها.

١٣- الصليبيون مرة أخرى: نجح الصليبيون في السيطرة على المدينة بعد وفاة "صلاح الدين" في عهد الملك "فريدريك" ملك صقلية ، وظلت بأيدي الصليبيين ١١ عامًا إلى أن استردها نهائيًا الملك الصالح "نجم الدين أيوب" عام ١٢٤٤م.

١٤ـ المماليك: تعرضت المدينة للغزو المغولي ، لكن المماليك هزموهم بقيادة "سيف الدين قطز" و"الظاهر بيبرس" في معركة "عين جالوت" عام ١٢٥٩م ، وضمت فلسطين بما فيها القدس إلى المماليك الذين حكموا مصر والشام بعد الدولة الأيوبية حتى عام ١٥١٧م.

١٥ـ الاحتلال البريطاني: سقطت القدس بيد الجيش البريطاني في ٨ – ٩/ ١٢/ ١٩١٧م بعد البيان الذي أذاعه الجنرال البريطاني "اللنبي" ،

ومنحت عصبة الأمم بريطانيا حق الانتداب على فلسطين ، وأصبحت القدس عاصمة فلسطين تحت الانتداب البريطاني (١٩٢٠م – ١٩٤٨م) ، ومنذ ذلك الحين دخلت المدينة في عهد جديد كان من أبرز سماته زيادة أعداد المهاجرين اليهود إليها خاصة بعد وعد بلفور عام ١٩١٧م.

١٦ـ مشروع تدويل القدس: أحيلت قضية القدس إلى الأمم المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية ، فأصدرت الهيئة الدولية قرارها في ٢٩ من نوفمبر١٩٤٧م بتدويل القدس.

١٧ـ إنهاء الانتداب البريطاني: في عام ١٩٤٨م أعلنت بريطانيا إنهاء الانتداب في فلسطين وسحب قواتها ، فاستغلت العصابات اليهودية حالة الفراغ السياسي والعسكري وأعلنت قيام الدولة الإسرائيلية ، وفي الثالث من ديسمبر ١٩٤٨م أعلن " ديفيد بن جوريون " رئيس وزراء إسرائيل أن القدس الغربية عاصمة للدولة الإسرائيلية الوليدة ، في حين خضعت القدس الشرقية للسيادة الأردنية حتى هزيمة يونيو ١٩٦٧م التي أسفرت عن ضم القدس بأكملها لإسرائيل.

ثانيًا: **موقع ومعالم مدينة القدس**:

تقع مدينة القدس في وسط فلسطين تقريبًا إلى الشرق من البحر المتوسط على سلسلة جبال ذات سفوح تميل إلى الغرب وإلى الشرق ، وترتفع عن سطح البحر المتوسط نحو٧٥٠م ، وعن سطح البحر الميت نحو١١٥٠م ،

وتقع على خط طول٣٥ درجة و١٣ دقيقة شرقًا ، وخط عرض ٣١ درجة و٥٢ دقيقة شمالاً ، وتبعد المدينة مسافة ٥٢كم عن البحر المتوسط ، و٢٢كم عن البحر الميت ، و٢٥٠كم عن البحر الأحمر ، وتبعد عن عَمَّان ٨٨ كم ، وعن بيروت ٣٨٨ كم ، وعن دمشق ٢٩٠كم.

إن أقدم جذر تأريخي في بناء القدس يعود إلى اسم بانيها ؛ وهو "إيلياء ابن إرم بن سام بن نوح" (عليه السلام) ، و"إيلياء" أحد أسماء القدس ، وقيل إن "ملكي صادق" أحد ملوك اليبوسيين – وهم أشهر قبائل الكنعانيين – هو أول من اختط وبنى مدينة القدس ، وذلك سنة ٣٠٠٠ ق.م، والتي سميت بـ "يبوس" ، وقد عرف "ملكي صادق" بالتقوى وحب السلام حتى أُطلق عليه "ملك السلام" ، ومن هنا جاء اسم "مدينة سالم" أو "شالم" أو "أورشالم" بمعنى "دع شالم يؤسس" ، أو "مدينة سالم" ، من ثم فإن "أورشليم" كان اسمًا معروفًا وموجودًا قبل أن يغتصب الإسرائيليون هذه المدينة من أيدي أصحابها اليبوسيين ، وسماها الإسرائيليون أيضًا "صهيون" نسبة لجبل في فلسطين ، وقد غلب على المدينة اسم "القدس" الذي هو اشتقاق من اسم من أسماء الله الحسنى وهو "القدوس" ، وسميت كذلك بـ "بيت المقدس" الذي هو بيت الله.

وفي عهد النبي سليمان (عليه السلام) اتسعت القدس ، فبنى فيها الدور؛ وشيد القصور ، وأصبحت عاصمة للدولة التي امتدت من الفرات إلى تخوم

مصر ، ويعتبر الهيكل الذي شيده الكنعانيون فيها ليكون معبدًا تابعًا للقصر أشهر بناء تم بناؤه في المدينة في ذلك العصر.

وبعد الفتح الإسلامي قام الخليفة الثاني "عمر بن الخطاب" (رضي الله عنه) بعدة إصلاحات فيها ، وفي سنة٧٢هـ بنى " عبد الملك بن مروان" قبة الصخرة والمسجد الأقصى.

وفي سنة ٤٢٥هـ شرع الخليفة الفاطمي السابع "الظاهر لإعزاز دين الله" في بناء سور لمدينة القدس بعد بناء سور الرملة ، وفي العصر الفاطمي بنى أول مستشفى عظيم في القدس من الأوقاف ، وفي سنة ٦٥١هـ/ ١٢٥٣م في زمن المماليك غدت القدس مركزًا من أهم المراكز العلمية في العالم الإسلامي ، وفي سنة ١٥٤٢م جدد السلطان "سليمان القانوني" السور الحالي الذي يحيط بالمدينة القديمة والذي يبلغ طوله ٤٢٠٠م وارتفاعه أربعون قدمًا.

وكانت أرض مدينة القدس في قديم الزمان صحراء تحيط بها الأودية من جهاتها الشرقية والجنوبية الغربية ، أما جهاتها الشمالية والشمالية الغربية فكانت مكشوفة ، وتحيط بها كذلك الجبال التي أقيمت عليها المدينة ، منها جبل "موريا" ومعناه "المختار" القائم عليه المسجد الأقصى وقبة الصخرة الآن ، ويرتفع نحو٧٧٠م ، و"جبل المكبر" حيث توجد "كنيسة القيامة"، و"جبل نبريتا" بالقرب من "باب الساهرة" ، و"جبل صهيون" الذي

يعرف بـ "جبل داود" في الجنوب الغربي من القدس القديمة ، وقد قدرت مساحة المدينة بـ ١٩٣٣١كم٢ ، وكان يحيط بها سور منيع على شكل مربع يبلغ ارتفاعه أربعون قدمًا وعليه أربعة وثلاثون برجًا منتظمًا ، ولهذا السور سبعة أبواب وهي: (باب الخليل - باب الجديد - باب العامود - باب الساهرة - باب المغاربة - باب الأسباط - باب النبي داود (عليه السلام)).

١ـ الأودية التي تحيط بالقدس:

أ ـ "وادي جهنم" واسمه القديم "قدرون" ويسميه العرب "وادي سلوان".

ب ـ "وادي الربابة" واسمه القديم "هنوم".

ج ـ "وادي الواد" وقد يسمى "تيروبيون" ومعناه "صانعو الجبن".

٢ـ من الجبال المطلة على القدس:

- جبل المكبر: يقع في جنوب القدس وتعلو قمته ٧٩٥م عن سطح البحر، وعلى جانب هذا الجبل يقوم قبر الشيخ أحمد أبي العباس الملقب بأبي ثور ، وهو من المجاهدين الذين اشتركوا في فتح القدس مع صلاح الدين الأيوبي.
- جبل الطور أو جبل الزيتون: وتعلو قمته ٨٢٦م عن سطح البحر ، ويقع شرقي البلدة المقدسة ، وهو يكشف مدينة القدس ، ويعتقد أن المسيح صعد من هذا الجبل إلى السماء.

- جبل المشارف: ويقع إلى الشمال من مدينة القدس ، ويقال له أيضًا "جبل المشهد" وهو الذي أطلق عليه الغربيون اسم "جبل سكوبس" نسبة إلى قائد روماني.
- جبل النبي صمويل: يقع في شمال القدس ويرتفع ٨٨٥م عن سطح البحر.
- تل العاصور: تحريف "بعل حاصور" بمعنى "قرية البعل" ، ويرتفع ١٠١٦م عن سطح البحر ، ويقع بين قريتي "دير جرير" و"سلواد" ، وهو الجبل الرابع في ارتفاعه في فلسطين .

ويصف "مجير الدين الحنبلي" القدس في سنة ٩٠٠هـ بقوله: " مدينة عظيمة محكمة البناء بين جبال وأودية ، وبعض بناء المدينة مرتفع على علو ، وبعضه منخفض في واد ، وأغلب الأبنية التي في الأماكن العالية مشرفة على ما دونها من الأماكن المنخفضة ، وشوارع المدينة بعضها سهل وبعضها وعر ، وفي أغلب الأماكن يوجد أسفلها أبنية قديمة ، وقد بُنِيَ فوقها بناء مستجد على بناء قديم ، وهي كثيرة الآبار المعدة لخزن الماء ، لأن ماءَها يجمع من الأمطار" [(١)].

٣ـ أسواق مدينة القدس:

- سوق القطانين: وهو سوق مجاور لباب المسجد من جهة الغرب ، وهو في غاية الارتفاع والإتقان لا يوجد مثله في كثير من البلاد.

---

(١) الأنس الجليل بتاريخ المقدس والخليل بجير الدين عبد الرحمن بن محمد العليمي الحنبلي ٢/ ٥٠ مكتبة دنديس ، عمان ، تحقيق/ عنديان يونس نباتة.

- الأسواق الثلاثة المتجاورة بالقرب من باب المحراب المعروف بباب الخليل: وهو من بناء الروم ، وأول هذه الأسواق سوق العطارين ؛ وهو الغربي في جهة الغرب ، وقد أوقفه " صلاح الدين الأيوبي" على مدرسته الصلاحية.

٤ـ حارات مدينة القدس:

الحارات المشهورة في القدس هي: حارة المغاربة ، وحارة الشرف ، وحارة العلم ، وحارة الحيادرة ، وحارة الصلتين ، وحارة الريشة ، وحارة بني الحارث ، وحارة الضوية.

٥ـ القلعة:

أحد المعالم المهمة في القدس ، وهي حصن عظيم البناء بظاهر بيت المقدس من جهة الغرب ، وكان قديمًا يعرف بمحراب داود (عليه السلام) ، وفي هذا الحصن برج عظيم البناء يسمى " برج داود " ، وهو من البناء القديم السليماني، وكانت تدق فيه الطبلخانة (كلمة فارسية تدل على فرقة الموسيقى السلطانية ، أو مكانها) في كل ليلة بين المغرب والعشاء على عادة القلاع بالبلاد.

٦ـ عين سلوان:

وهي بظاهر القدس الشريف من جهة القبلة بالوادي ، يشرف عليها سور المسجد الجنوبي ، وقد ورد في بعض الأخبار أهمية هذه العين ووصفها ومكانتها ، وأنها إحدى العيون الجارية التي ورد ذكرها في الكتاب العزيز: {فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ}[١].

---

(١) سورة الرحمن :٥٠.

٧ـ **آبارها** : من أهم آبار مدينة القدس "بئر أيوب" ، نسبة إلى سيدنا أيوب (عليه السلام) ، ويقال: إن الله تعالى حين قال لنبيه أيوب (عليه السلام):{ ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ } [1] ، كان يعنى هذه البئر ؛ وهي بالقرب من عين سلوان.

٨ ـ أهم مساجد مدينة القدس:

أ – المسجد الأقصى الشريف: والذي تقع في وسطه الصخرة الشريفة.

ب– جامع المغاربة: وهو يقع بظاهر المسجد الأقصى من جهة الغرب.

ج – جامع النبي داود (عليه السلام).

د – مسجد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بجوار كنيسة القيامة.

٩ـ مقابر القدس:

ـ مدفن النبي داود (عليه السلام) في الكنيسة المعروفة "بالجثمانية" شرق بيت المقدس في الوادي ، وكذلك قبر زكريا وقبر يحيى (عليهما السلام).

ـ قبر "مريم" (عليها السلام): وهو في كنيسة الجثمانية في داخل جبل الطور خارج باب الأسباط.

ـ مقبرة الساهرة: وهي البقيع المعروف بالساهرة في ظاهر مدينة القدس من جهة الشمال ، وفيها يدفن موتى المسلمين ، ومعنى الساهرة "أرض لا ينامون عليها ويسهرون".

ـ مقبرة باب الرحمة: وهي بجوار سور المسجد الأقصى.

---

(١) سورة ص : ٤٢.

ـ مقبرة الشهداء: مقبرة "ماملا" وتعرف أيضًا بـ "مأمن الله" ، وهي أكبر مقابر البلد تقع بظاهر القدس من جهة الغرب ، وهي تضم قبور عدد كبير من الصحابة والعلماء.

١٠ـ مدارس القدس:

في المدينة مدارس ومعاهد علمية ودينية وخيرية عديدة ، منها: مدارس حكومية ، وهي: دار المعلمين ، ودار المعلمات ، والمدرسة الرشيدية ، والمأمونية ، والبكرية ، والعمرية ، والرصاصية ، ومدرسة البقعة.... إلخ ، وهنالك نحو سبعين مدرسة قديمة أهمها المدرسة النحوية ، والناصرية ، والتذكرية ، والبلدية ، والخاتونية ، والأرغونية.. إلخ.

١١ـ مكتبات القدس:

هنالك ٣٤ اسمًا لمكتبات مختلفة ، نذكر أقدمها: مكتبة القديس المخلص (تأسست عام ١٥٥٨م) – مكتبة الخليلي (تأسست عام ١٧٢٥م) – مكتبة البطريركية الأرثوذوكسية (تأسست عام ١٨٦٥م) – مكتبة الجامعة العربية – المكتبة الخالدية (تأسست عام ١٩٠٠ م) ، وهنالك مكتبات خاصة تعود لبعض الأسر القديمة ، منها: المكتبة الفخرية ، ومكتبة آل البديري ، ومكتبة آل قطينة ، ومكتبة آل الموقت.

١٢ـ متاحف القدس:

ـ المتحف الحكومي للآثار: أُنشئ عام ١٩٢٧م.

ـ المتحف الإسلامي: أسسه المجلس الإسلامي الأعلى عام ١٣٤١هـ/ ١٩٢٣م.

١٣ـ أماكنها التاريخية الأخرى:

كنيسة القيامة ، والمارستان أو الدباغة ، وحبس المسيح ، والجسمانية ، وطريق الآلام ، والصلاحية ، والمتحف ، وجبل الزيتون.

ثالثا: أهمية القدس عند المسلمين:

القدس في الاعتقاد الإسلامي لها مكانة دينية مرموقة ، واتفق على ذلك المسلمون ، فهو إجماع الأمة كلها من أقصاها إلى أقصاها ، ولا غرو أن يلتزم جميع المسلمين بوجوب الدفاع عن القدس ، والغيرة عليها ، والذود عن حماها ، وحرماتها ، ومقدساتها ، وبذل النفس والنفيس في سبيل حمايتها.

ولم يختلف أحد من العرب والمسلمين حول عروبة القدس وإسلاميتها ، وضرورة بقائها عربية إسلامية ، مقاومةً المحاولات المستميتة لتهويدها ، وتغيير معالمها ، ومسخ شخصيتها التاريخية ، ومحو مظاهر العروبة والإسلام والمسيحية منها ، فللقدس قدسية إسلامية مقدرة ، وهي تمثل في حس المسلمين ووعيهم الإسلامي: القبلة الأولى ، وأرض الإسراء والمعراج ، وثالث المدن المعظمة ، وأرض النبوات والبركات ، وأرض الرباط والجهاد ، وبيان ذلك فيما يلي:

١ـ القدس القبلة الأولى:

أول ما تمثله القدس في حس المسلمين وفي وعيهم وفكرهم الديني ، أنها القبلة الأولى التي ظل رسول الله (صلى الله عليه وسلم) وأصحابه يتوجهون إليها في صلاتهم منذ فرضت الصلاة ليلة الإسراء والمعراج حتى نزل القرآن

الكريم يأمرهم بالتوجه إلى الكعبة أو المسجد الحرام ، كما قال تعالى: {وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ }[(١)].

وفي المدينة المنورة معلم أثري بارز يؤكد هذه القضية ، وهو "مسجد القبلتين" الذي صلى فيه المسلمون صلاة واحدة بعضها إلى القدس ، وبعضها إلى مكة ، وهو لا يزال قائمًا يُزَار إلى اليوم ويُصَلّى فيه ، وقد أثار اليهود وقتها في المدينة ضجة كبرى حول هذا التحول ، ورد عليهم القرآن بأن الجهات كلها لله ، وهو الذي يحدد أيها يكون القبلة لمن يصلي له ، قال تعالى: {سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ للهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ}[(٢)] ، وقال تعالى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ}[(٣)] ، فقد قالوا: إن صلاة المسلمين تلك السنوات قد ضاعت وأهدرت لأنها لم تكن إلى قبلة صحيحة ،

---

(١) سورة البقرة : ١٥٠.

(٢) سورة البقرة : ١٤٢.

(٣) سورة البقرة : ١٤٣.

فقال الله (عز وجل): {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللهُ وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ} ، أي صلاتكم ؛ لأنها كانت صلاة إلى قبلة صحيحة مرضية عنده.

٢ـ القدس أرض الإسراء والمعراج :

مما تمثله القدس في الوعي الإسلامي أن الله تعالى جعلها منتهى رحلة الإسراء الأرضية ، ومبتدأ رحلة المعراج السماوية ، فقد شاءت إرادة الله (عز وجل) أن تبدأ هذه الرحلة الأرضية المحمدية الليلية المباركة من مكة ومن المسجد الحرام حيث يقيم الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وأن تنتهي عند المسجد الأقصى ، وقد كان ذلك بتدبير إلهي وحكمة ربانية ، وهي أن يلتقي خاتم الرسل والنبيين (صلى الله عليه وسلم) هناك بالرسل الكرام ، ويصلي بهم إمامًا ، وفي هذا إعلان عن أن القيادة الدينية للعالم في أمة جديدة ، ورسول جديد ، وكتاب جديد ، أمة عالمية ، ورسول عالمي ، وكتاب عالمي، كما قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ}[1].

لقد نص القرآن على مبتدأ هذه الرحلة ومنتهاها بجلاء في أول آية في السورة التي حملت اسم هذه الرحلة ؛ سورة الإسراء ، فقال تعالى: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا

---

(١) سورة الأنبياء : ١٠٧.

حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}[1] ، والآية لم تصف المسجد الحرام بأي صفة مع ما له من بركات وأمجاد ، ولكنها وصفت المسجد الأقصى بهذا الوصف: {الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} ، وإذا كان ما حوله مباركًا فمن باب أولى أن يكون هو مباركًا ، وقصة الإسراء والمعراج حافلة بالرموز والدلالات التي توحي بأهمية هذا المكان المبارك ، حيث لو لم تكن القدس مقصودة في هذه الرحلة لأمكن العروج من مكة إلى السماء مباشرة ، ولكن المرور بهذه المحطة القدسية أمر مقصود ، كما دل على ذلك القرآن الكريم والأحاديث الشريفة.

ومن ثمرات رحلة الإسراء : الربط بين مبتدأ الإسراء ومنتهاه ، وبعبارة أخرى: الربط بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى ، وهذا الربط له إيحاؤه وتأثيره في وعي الإنسان المسلم وضميره ووجدانه ؛ بحيث لا تنفصل قدسية أحد المسجدين عن قدسية الآخر.

٣ـ القدس ثالث المدن المعظمة :

والقدس ثالث المدن المعظمة في الإسلام ؛ فالمدينة الأولى في الإسلام هي مكة المكرمة ، التي شرفها الله (عز وجل) بالمسجد الحرام ، والمدينة الثانية في الإسلام هي طيبة أو المدينة المنورة التي شرفها الله (عز وجل) بالنبي (صلى الله عليه وسلم) ومسجده وقبره ، والمدينة الثالثة في الإسلام هي القدس أو

(١) سورة الإسراء : ١.

بيت المقدس ، والتي شرفها الله (عز وجل) بالمسجد الأقصى الذي بارك الله حوله ، فعن أبى هريرة وأبي سعيد الخدري (رضي الله عنهما) ، عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ، والمسجد الأقصى ، ومسجدي هذا" ، فالمساجد كلها متساوية في مثوبة من صلى فيها ، ولا يجوز للمسلم أن يشد رحاله بمعنى أن يعزم على السفر والارتحال للصلاة في أي مسجد كان ؛ إلا للصلاة في هذه المساجد الثلاثة المتميزة ، وقد جاء الحديث بصيغة الحصر ، فلا يقاس عليها غيرها.

وقد أعلن القرآن عن أهمية المسجد الأقصى وبركته قبل بناء المسجد النبوي وقبل الهجرة بسنوات ، وقد جاءت الأحاديث النبوية تؤكد ما قرره القرآن ، منها الحديث السالف ذكره ، ومنها ما رواه أبو ذر(رضي الله عنه) ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ الله ، أَي مَسْجِدٍ وُضِعَ أَوَّلُ؟ قَالَ: الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ ، قُلْتُ: ثُمَّ أَيٌّ؟ قَالَ: ثُمَّ الْمَسْجِدُ الأَقْصَى ، قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: أَرْبَعُونَ، ثُمَّ قَالَ:"حَيْثُمَا أَدْرَكَتْكَ الصَّلاَةُ فَصَلِّ ، وَالأَرْضُ لَكَ مَسْجِد"[1].

فالإسلام حين جعل المسجد الأقصى ثالث المسجدين المعظمين في الإسلام ، وأضاف القدس إلى المدينتين الإسلاميتين المعظمتين : مكة والمدينة ، إنما أراد بذلك أن يقرر مبدأً مهمًّا من مبادئه ، وهو: أنه جاء ليبني

(١) سبق تخريجه ، ص ١٢.

لا ليهدم ، وليتمم لا ليحطم ، فالقدس كانت أرض النبوات ، والمسلمون أولى الناس بأنبياء الله عز وجل ورسله.

٤ـ القدس أرض النبوات والبركات:

إن القدس جزء من أرض فلسطين ، بل هي غرة جبينها ، وواسطة عقدها ، ولقد وصف الله عز وجل هذه الأرض بالبركة في خمسة مواضع في كتابه ، وهي:

أولها: في آية الإسراء حين وصف المسجد الأقصى بأنه: {الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}.

وثانيها: حين تحدث في قصة خليله إبراهيم (عليه السلام) ، فقال: {وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ }[1].

وثالثها: في قصة موسى (عليه السلام) ، حيث قال عن بني إسرائيل بعد إغراق فرعون وجنوده:{وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ}[2].

ورابعها: في قصة سليمان (عليه السلام) وما سخر الله (عز وجل) له من ملك لا ينبغي لأحد من بعده ، ومنه تسخير الريح ، وذلك في قوله تعالى:

---

(١) سورة الأنبياء : ٧١.

(٢) سورة الأعراف : ١٣٧.

{وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ }[1].

وخامسها: في قصة سبأ ، وكيف منّ الله عليهم بالأمن والرغد ، قال تعالى: {وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ}[2].

فهذه القرى التي بارك الله (عز وجل) فيها هي قرى الشام وفلسطين ، قال "الآلوسي" (رحمه الله): "المراد بالقرى التي بورك فيها قرى الشام ، لكثرة أشجارها وثمارها والتوسعة على أهلها" ، وعن ابن عباس (رضي الله عنهما) قال: "هي قرى بيت المقدس"، وقال ابن عطية : "إن إجماع المفسرين عليه"، وقد ذهب عدد من مفسري القرآن من علماء السلف والخلف في قوله تعالى:{ وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ} [3] إلى: أن التين والزيتون يقصد بهما الأرض أو البلدة التي تنبت التين والزيتون ، وهي بيت المقدس ، قال ابن كثير: " قال بعض الأئمة: هذه محالّ ثلاثة بعث الله من كل واحد منها نبيًّا مرسلاً من أولي العزم ، أصحاب الشرائع الكبار ، فالأول : محل التين والزيتون ، وهو بيت المقدس

(١) سورة الأنبياء : ٨١.

(٢) سورة سبأ : ١٨.

(٣) سورة التين :١-٣.

الذي بعث الله فيه عيسى ابن مريم (عليهما السلام) ، والثاني: طور سيناء ، الذي كلم الله عليه موسى بن عمران (عليه السلام) والثالث: مكة ، وهو البلد الأمين الذي من دخله كان آمنًا ، وبهذا التفسير أو التأويل تتناغم وتنسجم هذه الأقسام ، فإذا كان البلد الأمين يشير إلى منبت الإسلام رسالة محمد (صلى الله عليه وسلم) ، وطور سينين يشير إلى منبت اليهودية رسالة موسى(عليه السلام) ، فإن التين والزيتون يشير إلى رسالة عيسى(عليه السلام) الذي نشأ في جوار بيت المقدس ، وقدم موعظته الشهيرة في جبل الزيتون".

كان حديث القرآن عن المسجد الأقصى وحديث الرسول (صلى الله عليه وسلم) عن فضل الصلاة فيه من المبشرات بأن القدس سيفتحها المسلمون ، وستكون للمسلمين ، وسيشدون الرحال إلى مسجدها مصلين لله متعبدين ، وقد فتحت القدس التي كانت تسمى " إيلياء" في عهد الخليفة الثاني في الإسلام "عمر بن الخطاب"(رضي الله عنه) واشترط بطريركها الأكبر "صفرونيوس" ألا يسلم مفاتيح المدينة إلا للخليفة نفسه ، لا لأحد من قواده ، وقد جاء عمر (رضي الله عنه) من المدينة إلى القدس في رحلة تاريخية مثيرة ، وتسلم مفاتيح المدينة ، وعقد مع أهلها من النصارى معاهدة أو اتفاقية معروفة في التاريخ باسم "العهد العمري" أو "العهدة العمرية" أَمَّنَهُمْ فيها على معابدهم وعقائدهم وشعائرهم

وأنفسهم وأموالهم ، وشهد على هذه الوثيقة عدد من قادة المسلمين ، أمثال: خالد بن الوليد ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعمرو بن العاص ، ومعاوية بن أبي سفيان (رضي الله عنهم).

وقد أعلم الله نبيه محمدًا (صلى الله عليه وسلم) بأن هذه الأرض المقدسة سيحتلها الأعداء ، أو يهددونها بالغزو والاحتلال ، ولهذا حثَّ أمته على الدفاع عنها حتى لا تسقط في أيدي الأعداء ، ولتحريرها إذا قُدِّر لها أن تسقط في أيديهم.

كما أخبر (صلى الله عليه وسلم) بالمعركة المرتقبة بين المسلمين واليهود، وأن النصر سيكون للمسلمين عليهم ، وأن كل شيء سيكون في صف المسلمين ، حتى الحجر والشجر سينطق دالاًّ على أعدائهم ، سواء كان نطقًا بلسان الحال أم بلسان المقال ، فقد روى أبو أمامة الباهلي (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: "لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين ، لعدوهم قاهرين ، لا يضرهم من جابهم ، إلا ما أصابهم من لأواءٍ (أي أذى) حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك"، قالوا: وأين هم يا رسول الله؟ قال: "ببيت المقدس وأكناف بيت المقدس"[1].

---

(١) سبق تخريجه ، ص ٦٣.

رابعا: أهم الأماكن المقدسة عند الديانات الأخرى في مدينة القدس:

١ـ عند المسيحيين:

من أهم الأماكن المقدسة عند المسيحيين "كنيسة القيامة" ، وقد شيدها الإمبراطور قسطنطين في وسط القدس ، ويعتقد المسيحيون أنها تضم قبر المسيح ، وفي نفس الوقت تم بناء كنيسة المهد في بيت لحم بالتعاون مع "هيلانة" والدة الإمبراطور "قسطنطين".

وهناك كنائس أخرى بنيت زمن الرومان ، مثل: "كنيسة الصعود على جبل الزيتون" ، ويعتقد المسيحيون بأن المسيح صعد منها إلى السماء ، و"كنيسة العذراء" ، و"كنيسة القديسة حنة" ، و"كنيسة الجثمانية" ، و"كنيسة السيدة مريم".. إلخ ، وفي عهد الرومان تم تجديد بناء "دير أبينا إبراهيم" (عليه السلام).

ومنذ عهد قسطنطين أصبحت للقدس مكانة بارزة في التفكير المسيحي، فاشتهرت فيها المدارس اللاهوتية التي تدرس الفلسفة والمنطق والهندسة واللاهوت والقانون والتاريخ ، والمكتبات الضخمة .

ومن الأماكن المقدسة أيضًا "درب الآلام" ويعرفه المؤرخون بأنه: الطريق الذي سلكه السيد المسيح مع الجنود الرومان في طريقهم لصلبه ، ويبدأ هذا الطريق من جوار مدرسة راهبات صهيون في القدس ، وهو عبارة عن أربع عشرة مرحلة ، تنتهي بـ "وادي جمجمة" الذي يطلق البعض عليه

اسم "وادي جلجِثة"، أو "وادي الموت"، وهناك الكثير من الكنائس والأديرة ، وما تم ذكره هو الأكثر أهمية لدى المسيحيين .

٢ـ عند اليهود :

توجد أماكن مقدسة لدى اليهود مثل: قبر زكريا (عليه السلام) ، وقبر قدس الأقداس ، والعديد من الكنس (جمع كنيس) مثل "كنيس المغاربة" ، و"كنيس الإسطنبولي" ، و"كنيس بيت الدين".

أما بالنسبة "لحائط البراق " الذي يطلقون عليه اسم" حائط المبكى"، ويدَّعون أنه من بقايا هيكل سليمان (عليه السلام) ، فهناك اختلاف بين اليهود حول مكان الهيكل نفسه ، فطائفة "السامرة" (السامريون) أو كما يطلق عليهم العامة " السمرة " يقولون: إن الهيكل بني فوق "جبل جرزيم" في "نابلس" ، وهناك طوائف أخرى تؤمن بأنه يقع شمال القدس، والبعض يؤمن بأنه في " تل القاضي دان" ، وهكذا فإن تعدد الآراء اليهودية في موقع الهيكل يوحي بوجود هياكل عديدة ، وتؤكد دائرة المعارف البريطانية أن "تيطس" عندما هدم القدس عام ٧٠م لم يُبْقِ على شيء من معالمها ، لذا فإنه لا يوجد ما يؤكد بأن الهيكل موجود في أي من الحرم القدسي تحت المسجد الأقصى أو الأماكن الأخرى ، وكما أنه لم يرد ذكر الهيكل في القرآن الكريم.

خامسًا: فضائل بيت المقدس:

وردت في فضيلة بيت المقدس نصوص كثيرة ، منها: ما ورد عن أبي ذر (رضي الله عنه) قال: " قلت: يا رسول الله ، أي مسجد وضع في الأرض أول؟ قال: "المسجد الحرام" ، قلت: ثم أي؟ قال: "المسجد الأقصى" ، قلت: كم بينهما؟ قال: أربعون سنة ، وأينما أدركتك الصلاة فصل ، فهو مسجد"(١).

وروى ابن ماجه عن عبد الله بن عمرو (رضي الله عنهما) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : "لما فرغ سليمان بن داود من بناء بيت المقدس سأل الله ثلاثًا: حكمًا يصادف حكمه ، وملكًا لا ينبغي لأحد من بعده ، وألا يأتي هذا المسجد أحد لا يريد إلا الصلاة فيه إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه ، فقال النبي (صلى الله عليه وسلم) : أما اثنتان فقد أعطيهما ، وأرجو أن يكون قد أعطي الثالثة"(٢) ، ومن فضله: أن الرحال تشد إليه ، قال النبي (صلى الله عليه وسلم) : "لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد : المسجد الحرام والمسجد الأقصى ، ومسجدي هذا "(٣) ، وقوله (صلى الله عليه

(١) صحيح البخاري ، كتاب أحاديث الأنبياء ، حديث رقم ٣٣٦٦، وصحيح مسلم ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، حديث رقم ٥٢٠ ، واللفظ له.

(٢) سنن ابن ماجه ، كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب ما جاء في الصلاة في مسجد بيت المقدس، حديث رقم ١٤٠٨.

(٣) صحيح البخاري: كتاب الصلاة باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة حديث رقم ١١٨٩، وصحيح مسلم: كتاب الحج، باب لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد، حديث رقم ١٣٩٧.

وسلم): "فضل الصلاة في المسجد الحرام على غيره بمائة ألف صلاة ، وفي مسجدي هذا بألف صلاة ، وفي مسجد بيت المقدس بخمسمائة صلاة" [(١)].

وقد ورد أن المسيح الدجال لا يدخله ، فعن مجاهد قال: "كنا ست سنين علينا جنادة بن أبي أمية ، فقام فخطبنا فقال: أتينا رجلًا من الأنصار من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فدخلنا عليه ، فقلنا: حدثنا ما سمعت من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ولا تحدثنا ما سمعت من الناس ، فشددنا عليه ، فقال: "قام رسول الله (صلى الله عليه وسلم) فينا فقال: "أنذرتكم المسيح وهو ممسوح العين" ، قال: أحسبه قال: "اليسرى" ، يسير معه جبال الخبز وأنهار الماء ، علامته يمكث في الأرض أربعين صباحًا ، يبلغ سلطانه كل منهل ، لا يأتي أربعة مساجد: الكعبة ومسجد الرسول والمسجد الأقصى والطور ، ومهما كان من ذلك فاعلموا أن الله عز وجل ليس بأعور"[(٢)].

ويكفي شرفًا لبيت المقدس أنه إليه أسرى نبينا (صلى الله عليه وسلم) ، ومنه كان المعراج ؛ حيث صعد منه إلى السماء ، وقد وردت آثار في فضل من اعتمر من بيت المقدس ، وقد فعل ذلك عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما).

وفي مسجده الصخرة المشرفة ، وفيه الحلقة التي ربط النبي (صلى الله عليه وسلم) بها البراق ، وبمسجده صلَّى النبي (صلى الله عليه وسلم) إمامًا

---

(١) شعب الإيمان للبيهقي ، حديث رقم ٣٨٤٥.

(٢) مسند أحمد ، حديث رقم ٢٣٠٩٠.

بالنبيين والمرسلين ، وقد قال عبد الله بن عمر (رضي الله عنهما): بيت المقدس بَنَتْهُ الأنبياء وعمرته ، وما فيه موضع شبر إلا وقد سجد عليه نبي أو قام عليه ملك.

وفي بيت المقدس بشر الله (عز وجل) زكريا بيحيى (عليهما السلام) ، وسخر الله لداود الجبال والطير في بيت المقدس ، ويهلك الله يأجوج ومأجوج في بيت المقدس ، وولد عيسى (عليه السلام) في المهد في بيت المقدس ، وأنزلت عليه المائدة فيه ، ورفعه الله إلى السماء منه ، وينزل من السماء فيه ليقتل المسيح الدجال ، وصلى النبي (صلى الله عليه وسلم) إلى بيت المقدس قبل توجهه إلى الكعبة ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا.. إلى غير ذلك من الفضائل الكثيرة .

* * *

أهمية مدينة القدس ومخططات تهويدها (•)

إن مكانة وأهمية مدينة القدس لا خلاف عليها ، ويتضح ذلك من خلال نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية ، وكذلك فإن عروبة القدس تتضح من خلال النصوص اليهودية والتوراتية قبل العربية والإسلامية .

أولا: أهمية مدينة القدس وفضل الأرض المباركة :

لقد ثبت فضل وقدسية القدس من خلال نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية لوجود المسجد الأقصى بها ، فهو أول قبلة للمسلمين[1] ، وثاني مسجد بُني في الأرض بعد المسجد الحرام ، وهو ثالث أفضل مسجد على وجه الأرض .

عن أبي ذر (رضي الله عنه) قال: تذاكرنا ونحن عند رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أيهما أفضل: مسجد رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أم بيت المقدس؟ ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وسلم): "صلاة في مسجدي أفضل من أربع صلوات فيه ولنعم المصلى هو"[2] .

•) كتب هذا البحث: أ.د/ عبد العزيز بن عبد الله العمار ، وكيل وزارة الشئون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد الأسبق بالمملكة العربية السعودية.

(١) كما جاء عن البراء (رضي الله عنه) : أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) صلى إلى بيت المقدس ستة عشر شهرًا أو سبعة عشر شهرًا.. رواه البخاري ، كتاب تفسير القرآن ، باب قوله تعالى: سيقول السفهاء ، حديث رقم ٤٤٨٦ .

(٢) المعجم الأوسط للطبراني ، حديث رقم ٨٢٣٠.

وللمسجد الأقصى في الإسلام فضائل ومناقب كثيرة ، منها:

- أنه المسجد الذي ذكره الله تعالى في مطلع سورة الإسراء باسمه من بين مساجد الأرض مع المسجد الحرام ، وبارك فيما حوله من الأرض ، قال (عز وجل): { سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} (١) ، وفي هذا إشارة إلى أن المسجد الأقصى مبارك ، وزاده الله قدسية أن بارك حوله ، فكان موضع الإسراء المذكور في الآية الكريمة ، وكان هو منطلق العروج به إلى السماء.

وقوله (عز وجل): {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ} ، فيه إشارة إلى التوأمة بين المسجدين ، وإشارة إلى التوأمة في الرابط الأرضي بين القدس وما بين مكة المكرمة والمدينة ، باعتبارها مناطِقَ مُقَدَّسة.

- قد وصف الله تعالى الأرض بأنها مقدسة في قوله تعالى على لسان موسى (عليه السلام) مخاطبًا قومه : {يَا قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ الله لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ}(٢).

- قوله (عز وجل) عن هجرة إبراهيم (عليه السلام) من أرض الكلدانيين في العراق إلى الشام: {وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ *

(١) سورة الإسراء : ١.

(٢) سورة المائدة :٢١.

وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ}[1] ، وقد اختارها الله تعالى لهجرة خليله إبراهيم (عليه السلام) لما لها من بركة وفضل.

- ومن قدسية القدس أنها ظلت بضعة عشر شهرًا قبلة للمسلمين في صلاتهم حيث أُمر رسول الله (صلى الله عليه وسلم) باستقبال بيت المقدس، حتى تحولت القبلة إلى الكعبة ، فقد أشار القرآن الكريم إلى تحويل القبلة عن بيت المقدس في قوله تعالى: {قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا الله بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ}[2].

كما وردت في السنة المطهرة إشارات كثيرة عن فضل المسجد الأقصى وفضل الأرض المقدسة ، منها:

- أنه من المساجد التي تُشد الرحال إليها ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) عن النبي (صلى الله عليه وسلم) قال : " لا تُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ، ومسجدي هذا ، والمسجد الأقصى "[3].

- أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أَمَّ الأنبياء في صلاة واحدة في الأقصى في حديث طويل ، فعن أبي هريرة (رضي الله عنه) ، عن النبي (صلى

---

(1) سورة الأنبياء:71.

(2) سورة البقرة: 144.

(3) سبق تخريجه ، ص 61.

الله عليه وسلم) قال: ".. فحانت الصلاة فأممتهم"[1].

- عن أنس بن مالك (رضي الله عنه) أن رسول الله (صلى الله عليه وسلم) قال: " أُتيت بالبراق – وهو دابة أبيض طويل فوق الحمار ودون البغل. يضع حافره عند منتهي طرفه– قال: فركبته حتى آتيت بيت المقدس. قال: فربطته بالحلقة التي يربط بها الأنبياء. قال: ثم دخلت المسجد فصليت فيه ركعتين ، ثم خرجت ، فجاءني جبريل (عليه السلام) بإناء من خمر وإناء من لبن. فاخترت اللبن. فقال جبريل (عليه السلام): اخترت الفطرة ، ثم عرج بنا إلى السماء.."[2].

ثانيًا: القدس.. أصول عربية وإسلامية:

إن أرض فلسطين باعتراف العهد القديم كانت أرض غُربة بالنسبة إلى آل إبراهيم وآل إسحق وآل يعقوب (عليهم السلام) ؛ إذ كانوا مغتربين في أرض فلسطين بين الكنعانيين سكانها الأصليين ، ويؤكد العهد القديم غربة اليهود عن القدس ، ففي سفر القضاة قصة رجل غريب وَفِدَ مع جماعة له إلى مشارف (يبوس).. وفيما هم عند يبوس والنهار قد انحدر قال الغلام لسيده: " تَعَالَ نَمِيلُ إِلَى مَدِينَةِ الْيَبُوسِيِّينَ هذِهِ وَنَبِيتُ فِيهَا ، فَقَالَ لَهُ سَيِّدُهُ: لاَ نَمِيلُ إِلَى مَدِينَةٍ غَرِيبَةٍ حَيْثُ لَيْسَ أَحَدٌ مِنْ بَنِى إسرائيل هُنَا"[3].

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب ذكر المسيح عيسى بن مريم ، حديث رقم ١٧٢.

(٢) صحيح مسلم ، كتاب الإيمان ، باب الإسراء ، حديث رقم ١٦٢.

(٣) سفر القضاة ١١:١٩ و١٣.

ونص آخر يؤكد أن إبراهيم (عليه السلام) كان غريبًا فردًا في أرض كنعان ، تقول نصوص العهد القديم : " وَتَغَرَّبَ إبراهيم في أَرْضِ الْفَلَسْطِينِيِّينَ أيامًا كَثِيرَةً"[١] ، ونص آخر يقول: "وَسَكَنَ يَعْقُوبُ فِي أَرْضِ غُرْبَةِ أبيه في أَرْضِ كَنْعَانَ"[٢] ، وكانت كل أمنية نبي الله إبراهيم (عليه السلام) أن يُعْطَى من أهل فلسطين مساحة قبر لزوجته سارة : " أَنَا غَرِيبٌ وَنَزِيلٌ عِنْدَكُمْ ، أَعْطُونِي مُلْكَ قَبْرٍ مَعَكُمْ لأَدْفِنَ مَيْتِي مِنْ أَمَامِي"[٣].

وفي موضع آخر بالعهد القديم : "وحارب بنو يهوذا أورشليم وأخذوها وضربوها بحد السيف ، وأشعلوا المدينةَ بالنار ، وبعد ذلك نزل بنو يهوذا لمحاربة الكنعانيين سُكان الجبل والجنوب والسهلِ"[٤] ، كما أورد المؤرخ اليهودي " يوسفوس": " أن الملك داود – نبي الله داود – (عليه السلام) طرد الكنعانيين من يبوس وأسكن أهله فيها" [٥].

ويتضح من ذلك أن مدينة سالم "أورشليم" هي مدينة كنعانية أي عربية ، وأن المصادر اليهودية قبل العربية والإسلامية تشهد بعروبة فلسطين، ومدينة القدس[٦].

---

(١) سفر التكوين ٣٧: ١.

(٢) سفر التكوين ٢١: ٣٤.

(٣) سفر التكوين ٢٣: ٤.

(٤) سفر القضاة ١: ٨-٩.

(٥) **Josephus. The Jewish War. Penguin 1969 p. 360**.

(٦) راجع: سفر التكوين ١٥/ ١٨، سفر الخروج ٣/ ٨، ١٧-١٨، ٣٣/ ٢، سفر يشوع ٣/ ١١، ٩/ ٢-٣، ١٢/ ٨-١٠، سفر القضاة ١/ ٨، ١٥/ ٢١.

ثالثا: كلمة التاريخ:

أثبت المؤرخون أن العرب كانوا السابقين في بناء القدس وسُكناها ، وذلك من خلال تناول القدس تاريخيًّا عبر حقب متناهية في القدم ، مرورًا بمسيرة الأقوام والشعوب والدول التي تعاقبت على وجودها في القدس ، ابتداءً باليبوسيين ، وهم من بطون العرب الأوائل الذين نشأوا في صميم الجزيرة العربية ، ثم نزحوا عنها مع من نزح من القبائل الكنعانية ، فقد كانت الجزيرة العربية هي المُعِين الذي لا ينضب للهجرات العربية إلى بلاد الشام وفلسطين والعراق ، وقد زَوَّدَتْ هذه المناطق بالأصول والأعراق العربية ، وكانوا هم البناة الأوائل لهذه المدينة ، وسُميت "يبوس" نسبة لهم وذلك قبل ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد[١] ، ونظرًا لأهمية القدس من حيث كثرة خيراتها وأهمية موقعها جغرافيًّا ودينيًّا فقد تعرضت للغزو والاجتياح والدمار وإعادة البناء ثماني عشرة مرة في التاريخ ، وذاق أهلها العذاب خلال الأحقاب التي مرت[٢] ، ثم مرورًا بمن دخلها واحتلها من اليهود ثم الآشوريين ، فالبابليين بقيادة "نبوخذ نصر"٥٩٠ ق.م ، ودمر هيكل سليمان ، ثم نفى" نبوخذ نصّر" اليهود إلى بابل واستعبدهم هناك

---

(١) قضية القدس في محيط العلاقات الدولية ، للدكتور عز الدين فودة ، ص ٤٥ – ٥٦ ، مركز الأبحاث ، دراسات فلسطينية ٥٢، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ١٩٧١م.

(٢) بيت المقدس في الحديث النبوي الشريف ، سعيد القزقي، ص٥ ، ٦، ط: ١، دبي: مركز جمعة الماجد ، ٢٠٠٣م.

وانقرضت مملكة يهوذا ٥٨٦ ق.م[١] ، بعد ذلك جاء الفرس وسمحوا لليهود بالعودة إليها ، ثم جاء الإسكندر المقدوني٣٣٢ق.م وأخرجهم منها، ثم هاجمها القائد الروماني بومبي٦٣ق.م واحتلها [٢] ، وفي زمن خليفته (هيرودس) ولد المسيح عليه السلام في بيت لحم[٣].

ولما زادت فتن اليهود واضطراباتهم قام القائد الروماني"تيطس" بمحاصرة القدس عام٧٠م حصارًا شديدًا وطويلاً إلى أن سقطت المدينة في يد الرومان ، عندئذ أُسر اليهود واسْتُرِقّوا ، ثم ثار اليهود مرة أخرى بقيادة "بارقوخيا" عام١٣٥م في القدس ، ولكنه ذُبح على يد القائد الروماني "أدريانوس" ، وقُتل من اليهود من قُتل ، وأمر "أدريانوس" بطرد اليهود وحرَّم عليهم العودة ، فتشتتوا في كل الأرض ، وقام أدريانوس بتدمير القدس تدميرًا كاملاً ، وأنشأ مكانها مدينة "إيليا" ، ثم انتقل أمر القدس "إيليا" إلى البيزنطيين في زمن الإمبراطور "قسطنطين" عام ٣١٣م ، وفي عهده بَنَت أمه "هيلانة" كنيسة القيامة عام ٣٣٥م ، وعندما تبوأ العرش هرقل٦١٠ - ٦٤٠م زحفت جيوش كسرى ملك الفرس غربًا واستولت

---

(١) تاريخ قبة الصخرة المشرفة والمسجد الأقصى المبارك ولمحة عن تاريخ القدس. عارف العارف، ص ١٧، ط: ١ ، مطبعة دار الأيتام الإسلامية ، القدس (د.ت).

(٢) تاريخ قبة الصخرة المشرفة ، ص٣٢.

(٣) المؤسسة العربية العالمية ، ص ٢٠٥، المجلد ٣٣، ط:١، مؤسسة أعمال الموسوعة للنشر والتوزيع، الرياض ١٩٩٦م.

على سوريا وفلسطين ، وفي سنة ٦١٤م احتلت القدس وقام كسرى بدك معالمها وقتل تسعين ألفًا من المسيحيين ، وهدم كنيسة القيامة بتحريض من اليهود ، ولكن هرقل عاد واستجمع قواه وانتصر على الفرس ، واستطاع استرداد المدينة ٦٢٧م ، وفي هذه الفترة ظهر الإسلام ، ووصل كتاب الرسول (صلى الله عليه وسلم) إلى هرقل يدعوه فيه إلى الإسلام[1] .

بعد أن استقر الأمر لرسول الله (صلى الله عليه وسلم) في الجزيرة العربية بأسرها بشر النبي (صلى الله عليه وسلم) المسلمين قبل وفاته بفتح بيت المقدس ، وكان حينها تحت حكم الإمبراطورية الرومانية ، ونظرًا لقدسية المكان عند المسلمين ، ولكونه مسرى رسول الله (صلى الله عليه وسلم) حيث وجد الأنبياء في انتظاره لكى يَؤمهم في الصلاة في المسجد الأقصى ، كان من الطبيعي أن يسعى المسلمون لفتحه ، فسارت الفتوحات الإسلامية سيرها ، فلما كان عهد الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) تحققت بشارة النبي (صلى الله عليه وسلم) ، وفتح عمر (رضي الله عنه) بيت المقدس وتسلم مفاتيح القدس من البطريرك "صفرونيوس" في حين كانت محاصرة بالجيوش بقيادة أبي عبيدة ابن الجراح سنة ١٥هـ/ ٦٣٦م[2] ، واستقر أمر القدس بأن أعطاهم عمر (رضي الله عنه) وثيقة استقر عليها

(١) تاريخ قبة الصخرة المشرفة ، ص٣٧.

(٢) انظر: التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق ، لابن البطريق ، بيروت ١٩٠٤م ، وفضائل القدس ، لابن الجـوزي ، تحقيق : د. جبرائيل سليمان ، بيروت ، ١٩٨٠م .

وضع القدس من حيث الأمان ، وصيانة معابدهم ، وأن لا يُساكنهم فيها أحدمن اليهود على أن يدفعوا الجزية ، ومارس النصارى فيها حياتهم اليومية على هذا الوضع المنصوص عليه في العهدة العمرية بهدوء وأمان واطمئنان ، مع التمكين التام لهم من مزاولة شعائرهم الدينية واحترام حقوقهم ، ورعاية شئونهم ، والنظر في مظالمهم كالمسلمين سواء بسواء ، مع المحافظة وعدم العبث أو التعدي على أماكنهم الدينية ، وهذه العهدة موجودة ويحتفظ بها البطاركة عندهم.

ومنذ ذلك الحين أصبحت القدس أرضًا إسلامية جرت عليها أحكام الإسلام وخضعت لسلطان الإسلام ، وأمانها بأمان المسلمين ، وسكانها يحملون التابعية الإسلامية ، ووجبَ حمايتها والدفاع عنها واسترجاعها فيما لو تغلب عليها مغتصب ، وظل المسجد الأقصى في ذمة المسلمين يلقى كل أنواع العناية والاهتمام من قِبل حكام المسلمين[1] .

ففي العهد الأموي ، كانت القدس بموضع الاهتمام والرعاية من قبل خلفاء بني أمية ، لا سيما "عبد الملك بن مروان" وابنه "الوليد" اللذين بنيا "مسجد قبة الصخرة" و "المسجد الأقصى" بشكلهما الحالي تقريبًا[2] ، واستمر الحال في العهد العباسي ، وتمتعت القدس باستتباب الأمن وتحسن

(١) تخلل ذلك فترة قصيرة عُرفت تاريخيًا باسم الحروب الصليبية استمرت من ١٠٩٩ حتى أجلاهم صلاح الدين الأيوبي عنها عام ١١٨٧م.

(٢) الموسوعة الفلسطينية ٣/ ٢٤٢ -٢٦٦.

العلاقات بين المسلمين والنصارى ، وسمح الخليفة هارون الرشيد للإمبراطور "شارلمان" بترميم الكنائس ، وتعهد بحماية النصارى الذين يفدون إلى القدس بقصد الزيارة ، كما تولى ابنه إعمار قبة الصخرة عام ٨١٣م[١] ، وأثناء فترة ضعف الدولة العباسية ٩٦٦م - ١٠٧٢م بنى الفاطميون فيها " البيمارستان" وهو أول مستشفى عرفه القدس ، كما بنو دار العلم ، وهي فرع لدار الحكمة التي تأسست في القاهرة عام ١٠٠٤م ، وقد كانت موضع اهتمام ورعاية ، ثم سيطر على المدينة الأتراك السلاجقة عام ١٠٧٢م[٢].

مما سبق يتضح أن المسجد الأقصى ظل في حوزة المسلمين يعتنون بعمارته ويهتمون بتشييده إلى أن سقطت القدس في أيدي الحملات الصليبية عام ٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م ، واستمر ذلك الحال إلى أن هيأ الله (عز وجل) له "نور الدين زنكي" ثم "صلاح الدين الأيوبي" اللذين جددا معالم الدين ، حتى استعاده صلاح الدين في عام ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م وأعاد له مكانته[٣].

ظلت القدس بيد الدولة الأيوبية إلى أن امتدت إليها الشرور والفتن حتى جاء المماليك وسيطروا عليها عام ١٢٥٠م[٤] ، وخلال حكم المماليك بنوا فيها المساجد والمدارس والأسواق والخانات ، وحفظوا فلسطين من

(١) الموسوعة الفلسطينية ، ٣/ ٤٢٧.

(٢) المرجع السابق ، ٣/ ٤٢٨.

(٣) الطريق إلى القدس، محسن صالح، ص ٩٠، ط: ٣، منشورات فلسطين المسلمة ١٩٩٨م، لندن.

(٤) المرجع السابق ، ص ١١٠.

الخطر المغولي عندما تصدوا لهم في موقعة " عين جالوت" ١٢٦٠م وانتصروا عليهم ، ولكن الضعف دبَّ في الدولة المملوكية ، وهكذا حكم المسلمون مدينة القدس لمدة تزيد على ألف عام ، بدأت في عام٧٣٦م وانتهت في عام ١٩١٧م عندما دخلت القوات البريطانية المدينة ، أعطوها خلالها طبيعة عمرانية إسلامية من حيث المكان والسكان وشتى مظاهر الحياة والعمران[1] ، كما يشهد التاريخ أن الفترة الوحيدة التي شهدت هدوءًا وسماحة فائقة كفلت لأتباع الأديان أن تؤدي شعائرها الدينية في أماكنها المقدسة كما تشاء هي فترة الحكم الإسلامي للمدينة.

وعندما وُقِعَت اتفاقية "سايكس بيكو" بين فرنسا وبريطانيا وتم تنفيذها ، واقتسام منطقة بلاد الرافدين وبلاد الشام بينهما ، طالبت بريطانيا عصبة الأمم أن يكون الانتداب على فلسطين من نصيبها ، لتتمكن من تحقيق وعدها لليهود وتهيئتها وطنًا لليهود ، ووضعت بريطانيا ، أثناء انتدابها – بموجب صك الانتداب الصادر عن عصبة الأمم عام ١٩٢٢م[2] بانتدابها على فلسطين لمدة خمسة وعشرين عامًا ، والذي تضمن الطريق إلى تحقيق " وعد بلفور" ، إذ نصت المادة الثانية منه على أنه : " تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن جعل البلاد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تكفل إنشاء الوطن القومي لليهود" – قانون "الحكر" الذي يسمح باستئجار

(١) قضية القدس في محيط العلاقات الدولية ، ص ٤٥ – ٥٦ .

(٢) تاريخ قبة الصخرة المشرفة. عارف العارف ، ص ٤٦.

أراضي الوقف الإسلامي مدة ٩٩سنة ، وتعد المباني التي يمتلكها الكثير من اليهود قد أخذت أراضيها وأقيمت بموجب هذا القانون ، ثم إنها سهلت هجرة اليهود إلى فلسطين وسمحت وساعدت وعملت على بيع الأراضي لليهود ، وتصدت للحركات الوطنية الفلسطينية ، وقمعت ثورات وانتفاضات الفلسطينيين في مواجهة الهجرة اليهودية إلى فلسطين[١].

وبعد أن هيأت بريطانيا الأمور لتنفيذ " وعد بلفور" أحالت القضية الفلسطينية إلى هيئة الأمم المتحدة ، وتولتها معها أمريكا ليصدر قرار تقسيم فلسطين سنة١٩٤٧م ، وفي سنة ١٩٤٨م أنهت بريطانيا انتدابها وأبقت ما لديها من دبابات وسلاح لليهود وخرجت من فلسطين ، وأُعلن قيام دولة لليهود في نفس الوقت ١٥/ ٥/ ١٩٤٨م.

ومع تزايد أعداد اليهود أصبح بمقدورهم إدارة شئونهم ، ومع كثرة المصادمات والمعارك بين الفلسطينيين أهل البلاد الشرعيين واليهود الغرباء رفعت بريطانيا الأمر إلى الأمم المتحدة التي قررت تقسيم فلسطين بين العرب واليهود ، على أن تبقى القدس دولية ، ولكن مع انتهاء حرب ١٩٤٨م تمكن اليهود من تثبيت أقدامهم في أجزاء من القدس ، وفي أعقاب

(١) تاريخ فلسطين الحديث ، عبد الوهاب الكيالي ، ص ٣٧ - ٦٧ ، ط : ٩ ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، ١٩٨٥م ، بيروت .

يونيو١٩٦٧م أتم اليهود سيطرتهم على القدس[١] .

والجدير بالذكر أن أول إشارة إلى أقدم أسماء فلسطين وهي أرض كنعان توجد في حفريات تل العمارنة[٢] التي يرجع عصرها إلى خمسة عشر قرنًا قبل الميلاد ، والاسم الذي تذكره هذه الحفريات هو "كيناهي" أو "كيناهنا" kinahna ، kinahi ، وأصله "كنعان" kana'an ، وأشارت هذه الحفريات بهذا الاسم إلى البلاد الواقعة غربي نهر الأردن ومنها سوريا ، كما أن كنعان هو الاسم الذي يذكر به العهد القديم هذه البلاد ، ومن ثم يتضح أن العهد القديم يعترف بأن فلسطين ليست بلادهم وأنهم أتوا إليها نتيجة الغزو الذي قام به "يوشع بن نون" إلى هذه البلاد[٣].

وهو ما يؤكده الدكتور "ل.كارنييف" حيث قال: "... فالفلسطينيون المعاصرون هم أصحاب الحق ، والكنعانيون هم سكان فلسطين عبر التاريخ ، وإسرائيل في الأصل قبيلة صغيرة قامت بالغزو طمعًا في أرض كنعان ذات الثقافة العالية ، والتي سُميت بعد ذلك فلسطين"[٤] ، ويعلق "جوزيف

---

(١) المدخل إلى القضية الفلسطينية ، جواد الحمد (محررًا) ، ص ٢٨٨ –٢٩٥، ط:١، مركز دراسات الشرق الأوسط ، ١٩٩٧م ، عمان .

(٢) راجع ، منطلق جديد في دراسة تاريخ فلسطين القديم ، سامي سعيد الأحمد ، ص ٢٣، جامعة بغداد، بغداد ١٩٨١م ، قصة الحضارة في سومر وبابل ، عطا بكري ، ص ٦٨، مطبعة الإرشاد، بغداد ١٩٧١م.

(٣) Kenyon, Archaeology in the Holy Land, p. 117.317.

(٤) اليهودية واليهودية في نظر شعوب العالم – رؤية إعلامية –، كارنييف ، ترجمة وتقديم: محمد على حوات ، ص ١٠، دار الأفاق العربية ، ط:١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م ، القاهرة.

ريان" قائلا : " نتيجة للحجج اليهودية فإن الانطباع الذي تكَوَّن في بعض الأوساط هو أن أي تاريخ ذي أهمية تذكر في فلسطين قد توقف في سنة ٧٠م، وأنه لم يبدأ السير ثانية إلا مع الحركة اليهودية بقيادة "تيودور هرتزل"[١] ، كما أن مدة السبعين سنة تلك كانت مدة غزو واحتلال!! وهي لهذا لم تُخرج البلاد الكنعانية عن عروبتها ، ولم تعط بأي شكل من الأشكال حقًّا تاريخيًّا لليهود في فلسطين ، فعلى الرغم من الغزوات التي مرت على فلسطين فإن أهل البلاد الأصليين لم يرحلوا عنها ؛ بل استمروا في حياتهم القومية يعيشون في مدنهم وقراهم ومزارعهم ، وبالتالي صاحب الحق القومي في فلسطين هم الكنعانيون وأحفادهم من العرب[٢].

وفي شهادة للكاتب اليهودي "ألفريد لينتال" قال: "إن الكنعانيين هم أول من جاء إلى فلسطين ، ثم تتالت بعدها القبائل العربية ، ثم القبائل العبرية"[٣]؛ فالقدس إذن خالصة العروبة أبدًا وأزلا ، وما وجود اليهود فيها إلا فترة انتقالية تمثل سبعين عامًا فقط أو سبعة وتسعين عامًا على عهد داود وسليمان عليهما السلام[٤].

---

(١) Jerusalem, Triangle Friends of the Middle East, O. Killy Ingram, Durham NC.1978, p. 26.

(٢) الدبلوماسية اليهودية ، فايز صايغ ، مركز الأبحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية ، بيروت ، ١٩٦٧م ، ص ١٩-٢٠.

(٣) راجع : إسرائيل ذلك الدولار الزائف ، تعريب : الديراوي أبو حجلة ، ص ٤٤٣، دار الملايين، بيروت ، ط:١، ١٩٦٥م.

(٤) راجع : الموسوعة الفلسطينية ، القسم الثاني ، المجلد الخامس ، ص ٦، بيروت ، ١٩٩٠م.

من خلال هذا اعرض يتضح أنه على طول الخريطة المديدة لتاريخ مدينة القدس لم يكن لبني إسرائيل غير علاقة عارضة بهذه المدينة العريقة ، ترامت هذه العلاقة بين سنوات متفرقات ، كتلك التي أمضوها في بقاع أخرى من العالم فيما بعد[1] .

رابعا: المخطط اليهودي لتهويد القدس:

منذ نشأتها تسعى الحركة اليهودية إلى إنشاء وطن قومي لهم.. وعند سقوط فلسطين في أيدي الاستعمار البريطاني وجدت الأصولية اليهودية في أرض فلسطين غنيمة وفرصة مواتية لتحقيق أهدافها ، فبدأت تسعى بكل قوتها لتحقيق ذلك ، وهذه الأهداف هي:

١- إعادة الشعب اليهودي إلى أرضه التاريخية المزعومة ، وذلك بتجميع اليهود في فلسطين المحتلة لإنشاء وطن قومي لهم على أنها أرض الميعاد كما يزعمون.

٢- تقطيع أوصال الأراضي المحتلة عن طريق الكتل الاستيطانية والطرق الالتفافية .

٣- إلغاء الهوية الفلسطينية ، وتهويد القدس على أنها حسب زعمهم عاصمة الكيان الإسرائيلي .

---

(١) راجع : التأصيل التاريخي لعروبة مدينة القدس ، لعبد التواب مصطفى ، مجلة رؤية ، العدد ٢٧، كانون الثاني ٢٠٠٤م.

٤- تقويض المسجد الأقصى وهدمه ، وإقامة الهيكل المزعوم على أنقاضه.

٥- الالتفاف على مشروع إقامة دولة فلسطينية عن طريق منع التواصل الجغرافي بين الأراضي التي يفترض أن تقام عليها الدولة.

٦- خلق أمر واقع يمكن فرضه على الفلسطينيين في أية مفاوضات مستقبلية.

ومن أجل تحقيق تلك الأهداف تم اتخاذ العديد من التدابير والإجراءات ، منها:

أ- الهجرات اليهودية إلى القدس:

تواجه القدس أخطر تحدٍّ يستهدف طمس معالمها التاريخية بمحاولة صبغها بطابع سكاني وثقافي دخيل عليها ، وذلك من خلال هجمات استيطانية ، وهجرات سكانية مكثفة ، لسلبها تراثها الديني والثقافي والحضاري المميز لها ، ولتحقيق ذلك قامت بزيادة عدد سكّان المدينة اليهود عن طريق موجات هجرة يهودية كثيرة كانت بدايتها عام ١٨٨٢م ، ثم توالت الهجرات تباعًا ، وذلك لاعتماد الكيان الإسرائيلي منذ إنشائه في التزايد الديموغرافي على عنصر الهجرة لتحقيق هدفًا تكتيكيًّا استراتيجيًّا وتنظيميًّا في تجمعات وتنظيمات تخدم الخريطة السياسية للتخطيط اليهودي لتنفيذ أهدافهم الحاضرة والمستقبلية.

وقد لعبت تلك الهجرات دورًا رئيسًا في إقامة الكيان الإسرائيلي على الطبيعة ، وتهويد القدس من خلال التوسع في إنشاء المستوطنات وتكثيفها ،

وتوزيع عدد منها على جميع أنحاء فلسطين بهدف تطويق مدينة القدس ، ولا هدف لها جميعًا سوى تهويدها بأي ثمن وبأي صورة – بادعاء أنها عاصمة "داود" أو عاصمة إسرائيل الأزلية – مهما تناقضت مع القيم والأخلاقيات والمبادئ الدولية ، وكان من أهم هذه المستوطنات ما أنشئ في القدس بهدف صبغها بالطابع اليهودي.

اشتملت هذه الهجرات في مراحلها الأولى على عدد كبير من أصحاب رءوس الأموال وأصحاب المهن الحرة والدراية الكبيرة بالشئون الاقتصادية وبالتجارة والصناعة ، وبذلك شكلت عنصر الدعم المادي المكثف للتجمع اليهودي بفلسطين ، وأدت إلى تحويل التجمع اليهودي إلى تنظيم ديموغرافي سياسي ديني مكثف[١].

ب- استعمال التعدي والقتل كوسيلة لطرد السكان العرب:

لقد كان التعدي على عرب القدس أصحاب المدينة وسُكانها الأصليين من وسائل تهويد القدس ، والذي بدأ في "دير ياسين" و"كفر قاسم" ، وفي عام ١٩٦٧م في اليوم الأول للحرب وما يليه تم إمطار مدينة القدس وسكانها خارج السور وداخله بوابل من القصف بالقنابل المحرقة ، فدمرت وأحرقت مئات العقارات السكنية والتجارية ، وألحقت أضرارًا بعدد من

---

(١) القدس والاستيطان (مؤامرة التهويد والمواجهة). لمجموعة من المؤلفين ، ص ٧٦ ، لجنة النشر بالمجلس الإسلامي العالمي للدعوة والإغاثة ، القاهرة ، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.

المساجد والكنائس والمستشفيات ، من بينها الواجهة الأمامية للمسجد الأقصى ، وكنيسة " القديسة حنة" داخل السور ، مما تسبب في نزوح آلاف من أبناء القدس.

كما تم ممارسة صنوف من التعذيب للعرب لإجبارهم على ترك ديارهم، منها : الاعتقالات الجماعية لعرب القدس وإساءة معاملتهم ، وتعذيب المعتقلين ، والتعرض للحريات والممارسات الدينية ، وإجلاء وتشريد ونقل السكان العرب من الأراضي المحتلة وعدم السماح لهم بالعودة ، والقمع الوحشي لجميع حقوق الطلاب في إبداء الرأي والتعبير والتظاهر [(١)].

وفي يونيو ١٩٦٧م – أيضًا – تم إصدار ثلاثة قرارات استهدفت تهويد السيادة والإدارة والبلدية (الأمانة) العربية ، منها حل مجلس بلدية القدس العربي المنتخب من سكان القدس ، وطرد رئيس بلديتها من عمله وإلحاق موظفي وعمال البلدية ببلدية القسم المحتل من المدينة، وإلغاء جميع القوانين والأنظمة الأردنية والاستعاضة عنها بالقوانين والأنظمة الإسرائيلية[(٢)] ، وكل هذا تعدٍّ صارخ على حقوق الشعب الفلسطيني ، مما دعا لجنة حقوق الإنسان إلى اتخاذ عدة قرارات

---

(١) المركز القانوني الدولي لمدينة القدس ، د. جعفر عبد السلام، دعوة الحق: كتاب يصدر عن رابطة العالم الإسلامي ، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ، السنة الثامنة عشرة ، العدد ١٥٧.

(٢) الأقصى والقدس ، صادر عن مكتب حركة التحرير الوطني الفلسطيني ، السعودية ، ١٣٩٦هـ.

ضد اليهود في فلسطين ، كما أدانتها كل من الجمعية العامة للأمم المتحدة ومجلس الأمن.

جـ - تغيير معالم مدينة القدس ومسخ الهوية:

لقد كان تغيير معالم المدينة بهدف تهويدها وإزالة الطابع العربي والإسلامي عنها ، وذلك عن طريق التوسع في إقامة المستوطنات في العديد من المناطق في المدينة ، وإقامة أبنية ذات طابع يهودي ، فالاستيطان اليهودي في الأراضي المحتلة بوجه عام وفي القدس بوجه خاص يشكل المهمة الأساسية للأصولية اليهودية المتطرفة ، حيث عملت على تغيير التكوين الديموغرافي والجغرافي للقدس ، وتغيير الواقع السكاني ، وإيجاد أغلبية يهودية وخاصة في القدس الشرقية على نحو يجعل من المستحيل إعادة تقسيمها ، ومع مرور السنين كان للقدس النصيب الأكبر من الهجمات الاستيطانية الإسرائيلية لفرض السيادة التامة عليها.

وقد أدانت جميع القوى الدولية ، والجمعية العامة للأمم المتحدة [(١)] ،

---

(١) راجع : قرار الجمعية العامة رقم ٣٦ / ١٤٧، والقرار رقم ٣٦/ ١٥عام ١٩٨١م الذي يدين على وجه الخصوص أعمال الحفر التي أجرتها إسرائيل في القدس الشرقية وأعلنت أنها تدابير لاغية وباطلة ، وطلبت من كافة الدول والمنظمات الدولية والوكالات المتخصصة عدم الاعتراف بأي تغييرات تجريها إسرائيل في الأراضي المحتلة. (ص ٩٠-٩٢).

ومجلس الأمن[1]، والجهات المعنية بالحفاظ على التراث البشري هذه الممارسات والتدابير اليهودية .

د ـ منع اللاجئين الفلسطينيين من حق العودة إلى بلادهم:

رغم القرار رقم (١٩٤) فقرة (٣) الصادر عن الجمعية العمومية لهيئة الأمم المتحدة بتاريخ ١١ / ١٢/ ١٩٤٨م والذي يتضمن ثلاثة مبادئ هي: إعادة اللاجئين إلى بلادهم ، رد ممتلكاتهم إليهم وتعويضهم ، تم منع اللاجئين الفلسطينيين من حق العودة إلى بلادهم في الوقت الذي تم فيه فتح باب الهجرة اليهودية على مصراعيه إلى فلسطين المحتلة وإلى القدس منها بالذات ، الأمر الذي رفع عدد سكان اليهود في القدس.

هـ ـ تهجير العرب وترحيلهم من القدس:

سار الفكر الصهيوني نحو نفي الشعب الفلسطيني واستبدال اليهود به، وكانت الخطة ترتكز على الاستيلاء على أكبر قدر ممكن من الأراضي وإجبار الفلسطينيين على الرحيل ، وبذل كل جهد لتهويد القدس ولتبقى الأرض الفلسطينية خالصة لليهود ، وانطلاقًا من هذا التوجه والفكر اليهودي في السيطرة على الأرض العربية والممتلكات الإسلامية كان لا بد من رفع شعار "الترانسفير" (الترحيل) لطرد العرب والاستيلاء على ممتلكاتهم ومصادرتها ؛ لأن هذا الشعار كانت قد رفعته ونادت بتنفيذه

---

(١) أصدر مجلس الأمن القرار رقم ٥٣٣ لسنة ١٩٨٦الصادر في عام ١٩٨٦م يدين هذه التدابير ويعلن انطباق اتفاقية جنيف الرابعة على الأراضي المحتلة بما في ذلك القدس.

الجماعات اليهودية منذ الهجرة الأولى إلى أرض فلسطين عام ١٨٨١م ، وهو ما دعا إليه قادة الحركة اليهودية بعد انعقاد "مؤتمر بال" في سويسرا عام ١٨٩٧م ، وعمد المستوطنون اليهود إلى أن يسلكوا هذا السبيل في قلب المدينة المقدسة لتفريغها من مواطنيها العرب ، ولتحقيق هذا كان لا بد من الاستيلاء على الأحياء والممتلكات العربية والإسلامية المجاورة للحرم القدسي الشريف ووضع اليد عليها.

و- مصادرة الأملاك:

استنادًا إلى "قانون أموال الغائبين" لسنة ١٩٥٠م الذي أصدرته سلطات الاحتلال بتاريخ ٣١/ ٣/ ١٩٥٠م ، أو تلك القوانين التي وضعتها حكومة الانتداب قبلها ؛ خولت إسرائيل بموجبه لنفسها وضع أيديها على جميع الأملاك المنقولة وغير المنقولة التي كان يملكها جميع اللاجئين من عرب القدس ، وتقدر بحوالي ٨٠٪ من القسم المحتل آنذاك ، الأمر الذي يهدد الوجود العربي بالتقلص والتصفية.

ولم تكتف سلطات الاحتلال بما وضعت أيديها عليه من أراضٍ وعقارات الغائبين سنة ١٩٤٨م ، وما تلاها بعد حرب ١٩٦٧م ، بل اغتصبت مساحات كبيرة من الأراضي وأعداد كبيرة من العقارات.

ز- تهويد الاقتصاد العربي:

أدت سياسة مصادرة الأراضي إلى نزع ملكية الأرض من أهلها الذين كانوا يعيشون عليها ، وكان هدف هذه السياسة ليس فقط الحصول على

الأراضي اللازمة لإقامة المستوطنين الإسرائيليين ، وإنما أيضًا تدمير البنية الأساسية للثروة العربية ، واستمرار تخلف الشريحة العربية من السكان ، وتزايد اعتمادهم الاقتصادي على اليهود ، وفي الوقت نفسه حرمانهم من الأطر السياسية والاجتماعية والاقتصادية.

ولتحقيق ذلك تم ما يلي:

- عزل مدينة القدس بإنشاء عدد من مراكز الحدود الجمركية والعسكرية على الطرق والمنافذ التي تربط القدس بالمدن والقرى العربية المجاورة ، وللسيطرة على طرق الدخول والخروج من وإلى المدينة ، واعتبرت القدس منطقة أجنبية بالنسبة لهذه المدن والقرى(١).

- إغلاق البنوك العربية القائمة ، ومصادرة أموالها ، واستبدلت العملة الإسرائيلية بالعملة الأردنية .

- اغتصاب أراضي السكان العرب لحرمان معظم العرب من الأراضي التي تُعد الوسيلة الأساسية للبقاء على قيد الحياة ، ليس هذا فقط ، ولكن حُرِمت الصناعة الفلسطينية أيضًا من فرص الانتعاش ، فالصناعة اليهودية منافس قوي ، ولم يبق أمام السكان العرب إلا الأعمال اليدوية التي لا تحتاج إلى مهارة فنية ، وحتى هذه الأعمال غير مضمونة دائمًا ، فكثيرًا ما يُفصل العمال العرب عن العمل لإتاحة الفرصة للعمال اليهود .

---

(١) توقيت سيئ ، شموئيل شنيستار ، صحيفة معاريف الإسرائيلية ٢٩/ ٧/ ١٩٩٧م.

- منع إدخال أي إنتاج زراعي أو صناعي أو أي سلعة من القرى والمدن العربية المحيطة بالقدس والضفة الغربية إلى أسواق القدس ، وقد أدى هذا المنع إلى اضطرار سكان القدس العرب إلى شراء حاجاتهم الضرورية من السلع الإسرائيلية ، كما حُرِم المنتج العربي المجاور من أسواق كانت تستهلك قسمًا كبيرًا من إنتاجه ، كما أدى إلى تقليص بعض هذا الإنتاج وبالتالي تخفيض الأيدي العاملة فيه وإضافتها إما إلى طائفة العاطلين عن العمل ، أو التحاق بعضهم أمام ضغط الحياة للعمل لدى المستوطنين اليهود[1].

ح- تهويد التعليم :

تعيش القدس اليوم في وضع متأزم من جميع جوانب حياة سكانها وفي مقدمتها النظام التعليمي ومشاكله المتأصلة التي نجمت عن تراكم السلبيات منذ ١٩٦٧، وكان أبرز هذه المشاكل وأهمها محاولات حكومات الاحتلال المتكررة والمستمرة لفرض المناهج الإسرائيلية على مدارس القدس العربية التابعة لسلطتها من خلال بلدية القدس.

وفي إطار سعيها لتهويد مدينة القدس تسعى جاهدة إلى تقويض قطاع التعليم وربطه بجهات التعليم الإسرائيلي إشرافًا وإدارة باعتباره حلقة من حلقات مخططات تهويد المدينة ، حيث قامت بانتهاج العديد من الممارسات

(١) بؤرة الاضطرابات ، أوري أفنيري ، صحيفة معاريف ، ٣١/ ٣/ ١٩٩٧م.

والإجراءات والقرارات السياسية ؛ هدفت إلى فرض واقع جديد على الأرض ، من أهمها: ضم المدينة المقدسة بعد احتلالها مباشرة ، وإغلاق مكتب تربية وتعليم محافظة القدس ونقله إلى مدينة بيت لحم ، مما أفقد الجانب الفلسطيني حق الإشراف على المؤسسات التعليمية الرسمية والخاصة في مدينة القدس ومحافظاتها ، وتبع هذا القرار إلغاء العمل بقانون التربية والتعليم الأردني رقم ١٦ لعام ١٩٦٧م والذي يحدد النظام التعليمي ، ويوجه المسيرة التعليمية ومؤسساتها التربوية ، واستبدال التشريعات والنظم الإسرائيلية بها.

كما سعت هذه السلطات لفرض البرنامج التعليمي الإسرائيلي بصورة تدريجية ، مع تضييق الخناق على المدارس الخاصة "الأهلية" وذلك بإصدارها "قانون الإشراف على المدارس" رقم ٥٧٢٩ لعام ١٩٦٩ والذي شمل الإشراف الكامل على جميع المدارس بما فيها المدارس الخاصة بالطوائف الدينية إضافة للمدارس الأهلية الخاصة ، وفرضت على هذه المدارس وعلى الجهاز التعليمي فيها الحصول على تراخيص إسرائيلية تجيز لها الاستمرارية في ممارسة أنشطتها ، وكذلك الإشراف على برامج التعليم ومصادر تمويل هذه المدارس ، عامدة في هذا السياق إلى تشويه الحقائق التي تضمنتها المناهج المقرَّة من قبلها ، من ذلك الإساءة لديننا الحنيف وللأنبياء والرسل والحضارة العربية الإسلامية ، وتزييف الحقائق التاريخية وطمس

مادة العقيدة الإسلامية وتشويهها ، وعملت على تغييب السُّور المتحدثة عـن بني إسرائيل والفساد في الأرض أو السُّور والآيات التي تحـث عـلى الـدفاع ضـد المعتـدين وردهـم واسـتبدال تـدريس العهـد القـديم و"الأسـاطير اليهودية" بها ، وفي مادة الأدب العربي تم تغييـب دراسـة الشـعر العـربي في الجزء المتحدث عن البطولات العربية وعن فلسطين واعتماد مواد خاصة بـما يسمى الأدب "الإسرائيلي" كقصص وروايات "إسرائيلية" ، أما في مـادة التاريخ فتم تقسيم المناهج المعتمدة بتخصيص نصف المناهج للتاريخ العربي كما يكتبه ويراه المؤرخون الإسرائيليون ، والنصف الآخر خُصص للتـاريخ العبري واليهودي.

وتوالت المخططات لطمس معالم الثقافة العربية والإسـلامية في المدينـة والعمل على إحلال الثقافة العبرية مكانها ، ففي عـام ١٩٦٨ - ١٩٦٩، تـم اعتماد المناهج الإسرائيلية المعتمدة في المدارس العربية داخل فلسطين المحتلة عام ١٩٤٨ خاصة في المرحلتين الابتدائية والإعدادية وبقي هذا الحـال حتـى نهاية عام ١٩٧١.

وفي العام الـدراسي ١٩٧٢م- ١٩٧٣م ونتيجـة لفشـل السـيطرة عـلى قطاع التعليم وتهويده تمت العـودة للعمـل في تـدريس المنـاهج الأردنيـة في الضفة الغربية والقدس والمناهج المصرية في قطاع غزة بعـد حـذف كـل مـا يتعلق بتاريخ وحقوق الشعب الفلسطيني والنصوص المتعلقة بالصـراع مع

اليهود في الماضي والحاضر وكل ما يشير إلى الوحدتين العربية والإسـلامية ، كل ذلك بهدف عزل أبنـاء فلسـطين عـن قضـيتهم وعـن تـاريخهم العـربي الإسلامي المجيد.

وفي العام الدراسي ١٩٨٦ / ١٩٨٧م ونظرًا لعزوف التلاميذ المقدسيين عن الالتحاق بهذه المدارس تم التراجع عن تطبيق المنهج الإسرائيلي بشكل تدريجي في المرحلتين الابتدائية ثم الإعدادية وأخيرًا الثانوية ، وإعادة تدريس المناهج الأردنية المطبقة في جميع أنحاء الضفة الغربية ولكن مع الإبقاء على حصة اللغة العبرية في جميع المراحل ، إضافة إلى تدريس عدد من الكتب الدينية الإسرائيلية.

وفي عام ١٩٩٣م بموجب " اتفاقية أوسلو" تسلمت السلطة الوطنية الفلسطينية الإشراف على التعليم اعتبارًا من عام ١٩٩٤م ، حيث أبقت السلطة على النظام التربوي الأردني إلى حين الشروع بوضع منهج تعليم فلسطيني جديد ؛ مستندة في ذلك على الحقائق الجديدة على الأرض.

ط- الحفريات وتهويد القدس:

على الرغم من أنه ثبت تاريخيًّا عدم وجود اليهود في القدس حتى بداية النشاط اليهودي في القرن التاسع عشـر ، وهو ما يدحض الادعاءات اليهودية بتعاقب التواجد اليهودي بالقدس وفلسطين منذ بناء مدينة داود ؛ فإن من أخطر ما تتعرض له المقدسات الإسلامية هو التعدي على الأماكن

المقدسة ، وخطر الهدم الذي قد تتعرض له بسبب الحفريات المستمرة بحجة الكشف عَمَّا يزعمون بأنه هيكل سليمان ، وما يزعمون بأنه الآثار اليهودية.

مرت الحفريات بالعديد من المراحل منذ ١٩٦٧م مثلت نموذجًا صارخًا للاعتداء على الحضارة الإنسانية ، ونموذجًا للتزوير التاريخي ، وأخطرها هو التوسع في شق الأنفاق تحت ساحة الحرم الشريف وبجوار أساسات المسجد الأقصى ، وعمل حفريات تحت المسجد الأقصى وفي أماكن متعددة أخرى ، وذلك بهدف إحداث تصدع في المسجدين الأقصى والصخرة والأبنية السكنية والتجارية والحضارية الأخرى ، وانهيارها ثم هدمها.

وعلى الرغم من كل هذه الحفريات فإنهم كلما حفروا ظفروا بالمزيد من الآثار العربية والآثار الإسلامية ، ولم يجدوا أثرًا لما كان يُزعم بأنه الهيكل أو غيره مما يدَّعُون أنها آثارٌ يهودية.

وقد أدانت الجمعية العامة للأمم المتحدة تلك الممارسات ودعت إسرائيل إلى أن تكف فورًا عن جميع أعمال الحفر وتغيير المعالم في المواقع التاريخية والثقافية والدينية للمدينة ، وخاصة تحت وحول الحرم الشريف[١].

---

(١) راجع قرار الجمعية العامة رقم ٣٨ / ٧٩ الذي صدر بناء على تقرير اللجنة المعنية بالتحقيق في الممارسات الإسرائيلية التي تمس حقوق الإنسان لسكان الأراضي المحتلة ، وقرار رقم ٣٦/ ١٥ الصادر في ديسمبر ١٩٨١م.

آليات مواجهة سياسية الاستيطان والتهويد:

إن العمل من أجل إنقاذ القدس يجب أن يكـون شـاملًا لكـل المحـاور وعلى كل المستويات حتى يتحقق الهـدف المرجـو ، وهـو إنقـاذ المدينـة مـن عمليات التهويد ، وفيما يلي بعض الجوانب التي تسهم بشكل كبير في تحقيق هذا الهدف:

أولا: إحياء وعي العالم الإسلامي ببيت المقدس:

وذلك بهدف إحياء مكانة بيت المقـدس في الشـعور الإسـلامي وإثـارة الوعي الإسلامي بالمدينة لكون المسجد الأقصى أولى القبلتين بهـا ، ويمكـن تحقيق ذلك باتخاذ خطوات محددة وفاعلة ، منها:

١- الإبقاء على ذاكرة الأمة وعلى وعيها الكامل بمكانة القدس الشريف من خلال نشر الثقافة الخاصة ببيت المقدس في المدارس ووضعها ضمن المقررات الدراسية ، والتثقيف الدائم لطلاب المدارس بالوضع الحالي للمدينة والمسجد الأقصى تحت الاحتلال ، وتذكيرهم بمحاولات تهويده ، حتى يستقر الوعي ببيت المقدس في وجدان الطلاب منذ الصغر ، والاهتمام بدراسة المدينة في التعليم الجامعي خاصة في أقسام التاريخ والجغرافيا والآثار.

٢- تكثيف الدعاية الإسلامية عن آثار بيت المقدس ، والمسجد الأقصى ، والفنون الإسلامية المرتبطة بالمدينة كما تظهر في آثارها وتراثها الإسلامي.

٣- إعادة نشر الأعمال التاريخية والدينية التي تؤرخ لبيت المقدس وتدور حول فضل ومكانة بيت المقدس ، وطبعها في طبعات شعبية حتى تكون في متناول كل مسلم.

٤- توجيه الباحثين لاختيار موضوعات لرسائل الماجستير والدكتوراه حول بيت المقدس حتى تتوفر الدراسات العلمية عن المدينة تاريخيًا ودينيًّا وأثريًّا وجغرافيًّا والرد على الدراسات اليهودية [(١)].

ثانيًا: الجهود السياسية والدبلوماسية:

أصبح من واجب السلطة الفلسطينية والعرب أن يهتموا بدراسة وتفعيل عدد من البدائل المهمة التي أصبحت معروفة للجميع ، أهمها:

- الذهاب إلى مجلس الأمن في محاولة للحصول على اعتراف المجلس بالدولة الفلسطينية في إطار حدودها عام ١٩٦٧م ، أو التوجه إلى الجمعية العامة للأمم المتحدة.

- التمسك بعروبة القدس وعدم الاستسلام للدعاوى الزائفة والمخططات لتهويد المدينة ، وتثبيت وجود المؤسسات الفلسطينية القائمة فيها ، والتمسك بكون مدينة القدس جزءًا لا يتجزأ من الأراضي الفلسطينية المحتلة عام ١٩٦٧م ، وينطبق عليها ما ينطبق على سائر الأراضي الفلسطينية المحتلة طبقًا لقرارات الشرعية الدولية ، والمطالبة

---

(١) القدس والاستيطان ، ص ١٦٥.

بتنفيذ قرار الجمعية العامة [1] ، وقرارات مجلس الأمن بشأن القدس [2] ، ومطالبة الأمم المتحدة باتخاذ التدابير اللازمة لحمل إسرائيل على وقف مصادرة الأراضي الفلسطينية ووقف إقامة المستوطنات في مدينة القدس ، وعدم إجراء أي تغيير جغرافي أو ديموغرافي في القدس خلال المرحلة الانتقالية.

– تعزيز التضامن العربي مع الشعب الفلسطيني ، وتعزيز صمود أبناء مدينة القدس في مواجهة التحديات التي تواجهه ، ورفض السياسة التوسعية في القدس.

– توجيه الجهود الدبلوماسية العربية لإقناع المجتمع الدولي بضرورة تنفيذ قرارات مجلس الأمن بشأن القدس وتنفيذ جميع الاتفاقات والتعهدات المبرمة في إطار عملية السلام.

– تعزيز القدرات العربية من خلال دعم التعاون والتضامن العربي في جميع المجالات ، والتوجه إلى بناء كتلة عربية متماسكة ومتحدة ، وتنفيذ اتفاقيات التعاون والاندماج الاقتصادي لتتواكب في نفس الوقت مع الجهود الأخرى المبذولة ، فإن إنقاذ القدس من عملية التهويد مرتبط

(١) القرار رقم ٢٢٣/ ١٥لسنة ١٩٩٧م .

(٢) القرار رقم ٢٥٢ الصادر في ٢١/ ٥/ ١٩٦٨م ، والقرار رقم ٢٦٧ لسنة ١٩٦٩م ، والقرار رقم ٢٧١ الصادر في ٤/ ٧/ ١٩٦٩م ، والقرار ٤٦٥ لسنة ١٩٨٠م ، والقرار رقم ١٠٧٣لسنة ١٩٩٦م .

بالقدرة العربية وبالقوة والإرادة الوطنية العربية[1].

- العمل على تنشيط مبادرات الاعتراف بالدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس وعلى حدود الأراضي المحتلة عام ١٩٦٧م ، وإعلان قائمة الدول التي اعترفت اعترافًا صريحًا ومتكاملًا بشرعية الدولة الفلسطينية ، وتبادل التمثيل الدبلوماسي والقنصلي معها على وجه كامل.

ثالثا: **الجهود القانونية** :

للقدس وضع قانوني خاص ، وهو "وضع الإقليم الخاضع لنظام الوصاية الدولية" ، فالقدس طبقًا لقرار التقسيم الصادر عن الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٩/ ١١/ ١٩٤٧م هي كيان منفصل خاضع لنظام إداري دولي خاص تحت إشراف الأمم المتحدة يشمل مدينة القدس بكاملها والقرى المحيطة بها ، ولكن نظرًا لعد م موافقة الدول العربية وإسرائيل على تدويل القدس لم يطبق هذا النظام ، وتم التأكيد على تدويل القدس مرة أخرى بموجب قرارين صدرا من الجمعية العامة في عام ١٩٤٨م[2] ، وفي عام ١٩٤٩م[3].

---

(١) القدس والاستيطان ، ص ١٦٩.

(٢) القرار رقم ١٩٤ الصادر في ٩/ ١٢/ ١٩٤٩م والذي ينص على أن منطقة القدس يجب أن تتمتع بمعاملة خاصة منفصلة عن معاملة مناطق فلسطين الأخرى ، ويجب أن توضع تحت الرقابة الفعلية للأمم المتحدة .

(٣) القرار رقم ٣٠٣ الصادر في ١١/ ١٢/ ١٩٤٨م والذي ينص على وجوب وضع القدس في ظل نظام دولي دائم ، يجسد ضمانات ملائمة لحماية الأماكن المقدسة داخل القدس وخارجها.

لذا وجب على الأمة الإسلامية والعربية إحياء الجهود القانونية والاستناد إلى المنهج القانوني في الدفاع عن القدس ، والوقوف به في وجه عمليات تهويد القدس ، والعمل على تأكيد مبدأ الشرعية القائم على فكرة سيادة القانون الدولي ، والالتزام بنظرية بطلان التصرفات التي تصدر بالمخالفة لقواعد القانون الدولي ، وأن يكون هذا الوضع القانوني هو الأساس في مواجهة المحاولات المستمرة لتغيير الوضع القانوني للقدس ؛ من خلال الانتهاكات المستمرة للشرعية الدولية وللحقوق الدينية والعبث بالمقدسات الدينية ، وغيرها من الانتهاكات التي تدخل ضمن جرائم الحرب التي تدينها القوانين والاتفاقيات الدولية .

كذلك المطالبة بتنفيذ قرارات الأمم المتحدة الصادرة ضد هذه الانتهاكات والتي اعتبرتها باطلة وغير مشروعة[١]، وذلك يتطلب ما يلي:

- تكوين استراتيجية قانونية موحدة للدفاع عن القدس وتوحيد الجهود القانونية وتكثيفها في المنظمات الدولية.

- صياغة وثيقة الدفاع عن القدس ومخاطبة المنظمات الدولية والرأي العام العالمي لتحريك قضية القدس على المستوى العالمي[٢].

(١) منها : القرار رقم ٣٢٥٣ الصادر في ٤/ ٧/ ١٩٦٧م ، والقرار رقم ٣٢٥٤ الصادر في ١٤/ ٧/ ١٩٦٧م ، وقرار مجلس الأمن رقم ٢٥٢ الصادر في ٢١/ ٥/ ١٩٦٨م ، والقرار الصادر في ٤/ ٧/ ١٩٦٩م ، وقد رفض قرار مجلس الأمن الصادر في ٣٠/ ٧/ ١٩٨٠م قرار الكنيست الخاص بجعل القدس عاصمة لإسرائيل .

(٢) القدس والاستيطان ، ص ١٧٥ .

رابعا: الجهود الإعلامية:

يتفق الكثير على أن الوسيلة الأقرب لبلوغ الهدف هي نشـر الوعي اللازم حول الأمر المراد تحقيقه ، ويعتبرون أن الإعلام يمثل الخطوة الأولى في نجاح كل مشروع استراتيجي عملاق ، والإعلام بشتى صوره له أهمية كبيرة في العمل السياسي والتأثير في نفوس المتلقين ، لذا يجب أن يلعب الإعلام عمومًا والإعلام الديني بصفة خاصة الدور اللازم في قضية القدس، وهذه بعض الاقتراحات لتحقيق ذلك:

- توجيه حملة إعلامية عالمية لتحقيق الوعي بهذه القضية وخطورة الأوضاع فيها ، وعمليات ومخططات التهويد لمدينة القدس وما حولها ، وتوجه في مسارها الأول إلى الرأي العام العالمي الإسلامي بهدف تحقيق وعي إسلامي مشترك بعدالة قضية القدس وحيويتها ، ومن ثم توظيف هذا الوعي كعامل ضاغط على المحتل بعد أن تراجعت قوى الضغط التقليدية الأخرى.

- استكتاب شخصيات عالمية محترمة مقالات باللغات المختلفـة تُبـين الحق العربي الإسلامي في القدس وفضح جميع الانتهاكات التـي تحـدث لـه بعد رصدها وتوثيقها ، وتُنشر في كبريات الصحف والمجلات العالمية.

- تنظيم ندوات فكرية ومؤتمرات شعبية وحلقات دينية يكون محورها القدس ، تنشر وقائعها في أجهزة الإعلام المختلفة.

- تخصيص يوم لقضية القدس في الإعلام العربي ، وإعداد فيلم وبرامج وثائقية عن القدس وتراثها الديني بصورة عامة يعرض على شاشات التلفاز وشبكات الإنترنت في كل أنحاء العالم.

- مخاطبة وتعبئة الرأي العام العالمي المسيحي لمواجهة تهويد القدس فهي قضية مشتركة بين العالمين المسيحي والإسلامي.

خامسا: الجهود الشعبية

إضافة إلى الجهود الرسمية التي تبذلها الحكومات العربية والإسلامية لا بد من تنمية الجهود الشعبية لإنقاذ القدس ، ويمكن تحقيق ذلك من خلال عدة مقترحات منها:

١- رفع الوعي الشعبي بأهمية القدس ، وعدالة قضيتها ، والمساهمة في تمويل عمليات البناء الفلسطيني في القدس لاستيعاب السكان الفلسطينيين ، وتقوية الوجود السكاني بها.

٢- تأسيس عدد من المؤسسات العلمية والثقافية في القدس التي تهتم بعرض قضايا القدس في المحافل المحلية والدولية ؛ لتقوية المناصرة الشعبية لقضية القدس على مستوى العالم وإبراز عدالتها [١].

* * *

---

(١) القدس والاستيطان ، ص ١٨٠.

مخططات تهويد القدس وخطورتها (*)

تؤكد الحقائق التاريخية على أن "الأصولية الصهيونية" تستمد قوتها من أساطير التاريخ التوراتي القديم ، وهذا ما تؤكده الكتابات اليهودية الفكرية السياسية التي ترتقي إلى القرنين التاسع عشر والعشرين ؛ والتي شرحت علاقة الأصولية اليهودية بمفاهيم العلاقة بين التاريخ اليهودي والعقيدة اليهودية من جهة ، والفكر السياسي اليهودي من جهة أخرى ، وعلى ذلك يمكن القول بأن أسس عقيدة هذه الأصولية هي الأسس الدينية التاريخية التي يشيرون فيها إلى أن: ملكية العالم المادي هي من حقهم فقط كعنصر متفوق ؛ لأنهم شعب الله المختار!

وعلى هذا الأساس يكون الصراع العربي مع هذه "الأصولية" هو صراع ضد "التمييز العنصري" لا صراع حدود ؛ لأن هذه "الأصولية" هي حركة متطرفة ومنفصلة كليًّا عن اليهود وعن التاريخ اليهودي العبري.

التهويد: إن الحديث عن "الأيديولوجية الاستيطانية" أو "التهويد" المادي لـ "الأصولية" ، حديث مستفيض ومتسع ، وبقدر هذه الاستفاضة والاتساع تزداد المشكلات أمام الباحث في وضع توصيف لأبعاد هذه المسألة التي كانت سببًا ونتيجة في الوقت ذاته لحروب في فلسطين والأراضي العربية.

---

*) كتب هذا البحث: أ.د/ يحيى أحمد الكعكي، المستشار الأسبق في دار الفتوى بالجمهورية اللبنانية.

هذا ولقد ظهرت أولى بوادر الاستيطان لفلسطين في أواخر القرن التاسع عشر مع دعوة "تيودور هرتزل" Theodor Hertzel وهو الصحفي اليهودي النمساوي والمنظِّر الأيديولوجي الأول لها في أول مؤتمر صهيوني عقد في مدينة "بال" بسويسرا في ٢٥/ ٨/ ١٨٩٧م.

وأشير في هذا السياق إلى أن إسرائيل أنفقت ما بعد الحرب الثانية في عام ١٩٦٧م وحتى بداية النصف الثاني من عام٢٠٠٣م نحو عشرة مليارات دولار أمريكي على سياستها الاستيطانية ، وبلغ الإنفاق السنوي منذ عام ٢٠٠٣م على الاحتياجات المدنية للمستوطنين نحو خمسمائة مليون دولار أمريكي.

وأفادت أرقام المعهد الوطني للإحصاءات بالقدس في ٣/ ٣/ ٢٠٠٤م أن أعمال البناء في المستعمرات الإسرائيلية في الضفة الغربية زادت بنسبة ٣٥٪ عن عام ٢٠٠٢م ، وحسب هذه الأرقام فإن ١٨٥٠ ورشة بناء قامت في عام ٢٠٠٣م في المستوطنات أو المستعمرات مقابل١٣٦٩في عام٢٠٠٢م، و٤٧٤٢ في عام ٢٠٠٠م ، وفي هذا السياق أشار منسق المساعدات الإنسانية للأمم المتحدة في الأراضي الفلسطينية "ماكسويل غيلرد" في ٢٢ / ١٢/ ٢٠١٠م إلى أن عمليات هدم البيوت في القدس الشرقية ارتفعت إلى ٤٥٪ عام ٢٠١٠م.

واقع مخطط التهويد:

تعتبر محاولات تغيير الوضع القانوني لـ "الأماكن المقدسة" في "القدس العتيقة" والتي فيها المسجد الأقصى ؛ لبناء "هيكل سليمان"

الثالث المزعوم مكانه ، الهدف النهائي لتكريس التهويد على كامل التراب العربي الفلسطيني ؛ إذ كما قال "ديفيد بن جوريون" المؤسس السياسي لإسرائيل بعد انتهاء حرب ١٩٦٧م: لا معنى لإسرائيل بدون القدس ، ولا معنى للقدس بدون الهيكل.

وعلى ضوء ذلك جرت منذ عام١٩٢٠م تحركات عدة لهدم هذا المسجد – الذي كُرِّم برحلة الإسراء والمعراج ، والذي كان أول قبلة للمسلمين قبل أن تتحول إلى الكعبة المشرفة في مكة المكرمة – لأنه كما تزعم "الأصولية اليهودية" قد أقيم على قدس الأقداس ، وهذا ما أكد عليه الحاخام "إبراهيم إسحاق لوك" الذي قال بضرورة تهويد المسجد الأقصى ؛ لأنه يقوم على "قدس الأقداس" بحسب "كلوزنر" أحد ممثلي الحركة اليهودية العالمية في عام ١٩٢٩م.

هذا ما يوجد في مذهب "الأصولية اليهودية" العنصري ، أما حسب المنطق العربي فإن القدس هي مركز روحي للبشرية بأسرها وليس للغزو والاحتلال ، وفصلها عن معناها كموقع له قدسيته للإيمان اليهودي والمسيحي والإسلامي هو "جريمة حرب" بحق البشرية.

ولقد أكد عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على هذه المعاني السامية جميعًا حينما تسلم مفتاح المدينة بعد وصول الانتشار العربي الإسلامي إليها ، ووضع لها وثيقة مهمة في التاريخ الإنساني كله عرفت بالعهدة العمرية ، كما

أن العرب المسلمين ظلوا يحكمونها منذ عام ٦٣٧م مرورًا بعام تحريرها من الاستعمار الأوروبي ١١٨٧م بقيادة صلاح الدين الأيوبي وحتى عام ١٩١٧م، بمبادئ تعتبر غاية في الرفعة والسمو ، استخلصوها من الدين الإسلامي ، وهي مبادئ الحرية وخصوصًا في العقيدة والإخاء والمساواة واحترام حقوق الإنسان.

لذلك فإنني أؤكد على أن تغيير الوضع القانوني لـ "القدس العتيقة" -الجاري تنفيذ مراحله منذ فبراير ٢٠٠١م - يمثل الآن نقطة التحول في المشروع التهويدي لكامل التراب العربي الفلسطيني ؛ للانتقال إلى ما وراء القدس وفلسطين المحتلة.

وعلى أي حال يمكن القول: إن تغيير هذا الوضع القانوني فعليًّا بدأ مع مشروع الأمم المتحدة رقم ١٨١ بتاريخ ٢٩/ ١١/ ١٩٤٧م ، الذي أعطى اليهود الذين كانوا لا يملكون سوي ٦,٧٪ من أرض فلسطين الحق في دولة مساحتها ٥٤٪ من المساحة العامة لأرض فلسطين ، في حين قرر المشروع للسكان الأصليين "العرب الفلسطينيين" الذين كانوا يملكون ٩٣,٣٪ من أرض فلسطين دولة مساحتها ٤٥٪ و١٪ للقدس التي دولت بموجب هذا القرار.

وقد نشطت "الأصولية اليهودية" لفصل "القدس العتيقة" عن جسد الدولة العربية الفلسطينية آنذاك ، وكانت أولى تلك الخطوات اغتيال

الوسيط الدولي الكونت "برنادوت" الذي أشار لأول مرة في تقريره الذي رفعه للأمين العام للأمم المتحدة إلى عدالة قضية اللاجئين الفلسطينيين ، وإلى وضع القدس ؛ التي أصبحت مهددة بخطر التهويد.

ثم كانت الخطوة الثانية تأسيس المحكمة اليهودية العليا في القدس في سبتمبر١٩٤٨م ، ثم كانت الخطوة الثالثة بتقسيمها إلى شرقية وغربية وفقًا لخطوط وقف إطلاق النار فيها ، التي اعتمدت في اتفاقية الهدنة في ٣/ ٤/ ١٩٤٩م ، ثم كانت الخطوة الرابعة أداء "حاييم وايزمن" قسم اليمين الدستورية كأول رئيس لإسرائيل في ١٧/ ٢/ ١٩٤٩م ، في القدس الغربية.

ثم أعلنت حكومة تل أبيب في ١١/ ١١/ ١٩٤٩م ، نقل مقرها من تل أبيب إلى القدس الغربية ، وفي ١٣/ ١١/ ١٩٤٩م ، عقد الكنيست الإسرائيلي أول اجتماع له في المدينة ، وفي خطابه أمام الكنيست أعلن "بن جوريون" رفض حكومته تدويل القدس حسب مشروع الأمم المتحدة لعام ١٩٤٧م ، وبعدها قامت هذه الحكومة بنقل بعض وزاراتها ودوائرها الرسمية إلى "القدس الغربية".

ثم بدأت مرحلة محاولات تكريس تغيير الوضع القانوني لـ "القدس الشرقية" وباقي الأراضي الفلسطينية المحتلة عقب عدوان ١٩٦٧م ، ففي ٧/ ٦/ ١٩٦٧م ، وبعد دخول قوات الاحتلال الإسرائيلية إليها قارن

"موشي دايان" بين ذلك وبين قيام إسرائيل في عام ١٩٤٨م ، قائلاً: "إن دخولنا إلى القدس الشرقية يتساوى في أهميته مع الإعلان عن قيام إسرائيل في عام ١٩٤٨م ، وفي ٢٨/ ٦/ ١٩٦٧م أعلن الوزير في حكومة تل أبيب "حاييم موشي شابيرو" ضم الأحياء العربية في القدس الشرقية قسرًا ، وتوحيد المدينة وفقًا لقرار الكنيست الذي فوض فيه حكومة تل أبيب فرض ما تراه مناسبًا من قوانين على القدس الشرقية ، وفي ٤/ ٧/ ١٩٦٧م طالبت الجمعية العامة للأمم المتحدة في قرارها رقم٢٢٥٣ بإبطال هذه الإجراءات والرجوع عنها ، إلا أن ذلك بقي حبرًا على ورق.

وفي هذا السياق نشير إلى خطة "خريطة طريق تهويد القدس الشرقية" التي وضعتها اللجنة الوزارية لشئون القدس برئاسة "جولدا مائير" عام ١٩٧٣م ، والتي تضمنت إغلاق القدس الشرقية على أغلبية يهودية عام٢٠٢٠م تصل إلى ٧٨٪ ، وأقلية عربية لا تتجاوز٢٢٪!

هذا وفي٣٠/ ٦/ ١٩٨٠م ، أقر الكنيست الإسرائيلي بشكل استثنائي أن القدس الموحدة هي عاصمة إسرائيل الأبدية ، وهي مقر المحكمة العليا والكنيست والحكومة ورئيس الدولة ، كما أكدت حكومة تل أبيب على أن عمليات تحرير أراضي القدس الشرقية مستمرة ، وهذا ما دفع مجلس الأمن الدولي في٢٠/ ٨/ ١٩٨٠م إلى إدانة هذه الإجراءات الهادفة لتغيير هوية القدس بموجب القرار رقم ٤٧٨ وأعلن عدم اعترافه بهذه الإجراءات ،

ويجب إلغاؤها وتصحيح الأمور على ضوء ذلك ، إلا أن ذلك بقي حبرًا على ورق أيضًا.

ومنذ ذلك التاريخ استهدفت المشاريع الاستيطانية في القدس الشرقية تغليب العنصر اليهودي – سكانيًّا – فيها ، وطبعها بالطابع اليهودي دينيًّا وثقافيًّا ، وطمس شخصيتها العربية الثقافية المميزة ، وتنفيذًا لذلك طالبت لجنة خاصة بالكنيست الإسرائيلي في ٢٨/ ٥/ ١٩٩٠م الحكومة الإسرائيلية بتخصيص ١,٨ مليون دولار أمريكي لتمويل إنشاء مستوطنة في الحي المسيحي بالقدس العتيقة.

ثم جاء إقامة الحي اليهودي فيها من أخطر الخطوات لتغيير الوضع القانوني لـ "القدس العتيقة" وذلك عن طريق إقامة سور معماري عالٍ يحيط بالمدينة العتيقة من جميع جهاتها باستثناء الجهة الشرقية ، بعد أن كانت أسوار "القدس العتيقة" تحيط بالمدينة التي يتوسطها المسجد الأقصى ، ويشكل هذا السور من أبنية عالية الارتفاع من طرف الكنائس والبيوت المقببة في حارة الأرمن من الجهة الغربية للقدس ، إلى المسجد الأقصى في جانبها الشرقي ، وكان من أهداف إقامة هذا الحي الإسرائيلي ربطه بكل البؤر الاستيطانية في المدينة للسيطرة في نهاية المطاف على "القدس العتيقة"، وتهويدها بالكامل ، خصوصًا بعد إقامة العديد من المستوطنات فيها.

ثم كانت خطوة توسيع بلدية "القدس الغربية" التي أعلنت في ١٩٩٣م ، لتظهر لأول مرة "أغلبية يهودية" في القدس الشرقية ، وذلك

بارتفاع عدد المستوطنين اليهود إلى ١٦٠٠٠٠ مستوطن مقابل ١٥٥٠٠٠ فلسطيني ، وأعقب ذلك خطوات هذه الممارسات العنصرية التهويدية بهدف تكريس تغيير هوية "القدس العتيقة" وذلك عبر توسيع بلدية القدس الغربية الحالية على حساب الأراضي العربية ، وضم جميع المستوطنات الواقعة خارج نطاق بلدية القدس الغربية إلى ممتلكاتها ، وتسويرها بجدار واق ؛ سُمِّي "جدار المحيط" وتعزيز الأمن فيها ومن حولها ، وإنشاء لواء عسكري خاص يكون مسئولاً عن إغلاق القدس الموحدة عند الحاجة ، ثم كانت خطوة هدم المنازل والأحياء القديمة في القدس الشرقية ، والتي كان منها هدم فندق "شبرد" القديم في ٩/ ١/ ٢٠١١م من أجل بناء ٢٠ منزلاً مكانه لتكون نواة لحي يهودي جديد في البلدة القديمة.

وبذلك تكون خطوات تغيير معالم القدس الشرقية الساقطة قضائيًّا في العشرية الأولي من القرن الحالي ما بين ٢٠٠١م – ٢٠١٠م ؛ فاقت كل التوقعات لإقفال القدس الموحدة على أغلبية سكانية يهودية تصل إلى حوالي مليون نسمة تعيش بينها الأقلية العربية الفلسطينية – سكان " القدس العتيقة" الأصليون – أسرى داخل مدينتهم القديمة ؛ بهدف أن لا يكون هناك شيء يتحدث عنه هذا العالم المتغير ، ولا أفراد الشعب الفلسطيني إلا القبول بالعيش "كأقليات" في المقاطعات أو "الكانتونات" الخاصة بهم ،

خارج سور "الجدار المحيط" بـ "القدس العتيقة" ، الذي سيحيط به جدار الفصل والضم العنصري.

خطورة هذه المخططات التهويدية على حاضر ومستقبل القدس:

١ـ تغيير الوضع القانوني للقدس الشرقية:

بالإشارة إلى خطط بلدية القدس الكبرى التي نشرت عام ٢٠٠٦م والتي تتضمن بندًا صريحًا نص على: "تقليص الكثافة السكانية العربية في القدس الشرقية" ، ويجري تنفيذ ما وُضِع من خطط منذ احتلال المدينة عام١٩٦٧م لتهويد هذه المدينة وإغلاقها على أكثرية يهودية في عام ٢٠٢٠م عبر عزل أحياء ومناطق عربية بأكملها في البلدة القديمة ومحيطها ، وضم كتل استعمارية كبيرة إليها لتبقى موحدة مع القدس الغربية وعاصمة أبدية لإسرائيل ، ومن ذلك:

أـ تهويد الأماكن المقدسة الإسلامية:

إن المحاولات اليهودية لهدم المسجد الأقصى وإقامة الهيكل المزعوم مكانه ترتبط بالفكر الديني لـ "الأصولية اليهودية" المستند إلى التلمود وما يفسرونه من العهد القديم ؛ على أساس أن المسجد أقيم فوق الهيكل ، وفي هذا السياق نشير إلى ما أكد عليه عالم الآثار الإسرائيلي "مائير بن دوف" عام ٢٠٠٤م بأنه "لا وجود للهيكل المزعوم تحت الأقصى ، وأن الديانة اليهودية تحرم دخول الجماعات اليهودية المتطرفة باحة الأقصى ؛ لأن هؤلاء المتطرفين ليسوا بيهود" ، وليس "مائير بن دوف" وحدَه الذي أشار إلى هذه الحقيقة ؛ بل أشار إليها مؤرخون وعلماء آثار عديدون.

إن "الأصولية اليهودية" لا تزال تصر على فرضيتها بوجود "الهيكل المزعوم" أو "قدس الأقداس" ، وأن المسجد الأقصى أقيم بصورة غير شرعية على "أرض يهودية" ، ومن ثم أصبح لزامًا - وفق هذه المزاعم المغلوطة- هدمه لتصحيح ما أسمته بالوضع الشرعي.

ب- تهويد الأماكن المقدسة المسيحية في القدس:

لم يكن الأقصى وحدَه في دائرة الهدف لـ "الأصولية اليهودية" لتحويله عبر تهويد الأرض إلى تراث من الماضي وبناء الهيكل المزعوم مكانه ، فقد نال المقدسات المسيحية في القدس الشرقية ما نال المسجد الأقصى منذ عام ١٩٤٨م بعد محاولة تدمير كنيسة القيامة في ذلك العام بالقصف المدفعي ، ونشطت محاولات التهويد بعد ١٩٦٧م ، ولا تزال ، مما أدى إلى خسارة الأديرة والكنائس المسيحية في القدس العتيقة الكثير من أملاكها بفعل هذه الممارسات العنصرية الحاقدة ؛ والتي وصلت إلى حد مطالبة أصوليين يهود في عام١٩٩٩م سلطات الاحتلال الإسرائيلية إلى سن قانون ينص على حظر تواجد المسيحيين في إسرائيل ، وطرد جميع رجال الدين المسيحيين من الأراضي الإسرائيلية ؛ الأمر الذي أدى إلى تفريغ القدس من العدد الأكبر من المسيحيين عن طريق التهجير ؛ بحيث أصبحت نسبتهم الآن في كل فلسطين التاريخية لا تتجاوز ٢٪ .

ج- تهويد الأماكن العامة في القدس بعد بناء كَنَيِّس الخراب:

إن ما تم ويتم من استيطان مكثف في القدس الشريف استدعى بناء "كنيس الخراب" أو معبد "هاحوربا" والذي أقيم في حارة الشرق

الإسلامية في القدس ، والتي يسمونها الآن حارة اليهود بالقرب من المسجد العمري الكبير داخل البلدة القديمة ، والذي دشن في مارس ٢٠١٠م في الوقت الذي تستعد فيه سلطات الاحتلال لإقامة اثنين وستين كُنيسًا في محيط المسجد الأقصى ، وثلاثين مدرسة دينية يهودية ، والتي يقع معظمها في الجهة الغربية من الأقصى الشريف ؛ حيث حائط "البراق" الذي تطلق عليه "الأصولية اليهودية" زورًا اسم "حائط المبكى" ، وهذا ما يشير إلى أن خطواتها القادمة ستكون ربط الكنيس "بحائط البراق" بحسب أسطورة الحاخام "غاؤون فيلنا" من القرن الثامن عشر الميلادي ؛ والتي حدد فيها موعدًا لبداية بناء الهيكل ، مع تدشين معبد "هاحوربا" أي "كنيس الخراب".

٢ـ إسقاط القرارات الأممية ومعاهدة جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩م:

ونشير في هذا السياق إلى أن خطورة مخطط التهويد التي تهدد الوضع القانوني للقدس الشرقية لا تأتي فقط من المجموعات الأصولية اليهودية كأمناء جبل الهيكل ، وجماعة الربانيم ، وإلعاد ، وغيرها من الجمعيات اليهودية الأصولية الدينية المتطرفة ؛ بل تأتي أيضًا من العمل بسياسة توزيع الأدوار على تهويد القدس الشرقية مخالفة للمواثيق الدولية والقرارات الأممية ذات الصلة ، بدءًا من القرار ١٨١ لعام ١٩٤٧م ، ومرورًا بالقرار٢٤٢ لعام١٩٦٧م ، ومرجعيات مدريد ، وأخيرًا القرار الذي اعتمدته الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٢٢/ ١٢/ ٢٠١٠م بعنوان "حق

الشعب الفلسطيني في تقرير مصيره" والذي أيدته ١٧٧ دولة وعارضته ست دول وامتنعت عن التصويت أربع دول.

كما أن هذا التهويد هو مخالفة واضحة لاتفاقية جنيف الرابعة ١٢/ ٨/ ١٩٤٩م التي أشارت إلى بطلان أي تغيير في الوضع القانوني للأراضي المحتلة من قبل سلطات هذا الاحتلال ؛ التي عليها تسليمها فيما بعد إلى السكان الأصليين – المحتلة أرضهم- كما كان وضعها القانوني عند الاحتلال.

٣ـ إسقاط اتفاقية أوسلو:

كما أن مخططات التهويد هذه تتم بخلاف ما نصت عليه اتفاقية أوسلو ، حيث يجري الهدم والفرز والضم في نطاق هذه المخططات التهويدية في المنطقة المشار إليها في اتفاقية أوسلو وهي التي تغطي٦٠٪ من مساحة الضفة الغربية.

٤ ـ فِرْيَة أن القدس الشرقية محتلة من قبل العرب الفلسطينيين:

هكذا ومع مرور الزمن من عام ١٩٦٧م إلى ١٩٨٠م إلى٢٠١١م ، وبعد أن أصدر الكنيست اليهودي قراره في ١٦/ ٧/ ٢٠٠٣م ، والقاضي باعتبار كل الأراضي العربية الفلسطينية التي احتلت بالحرب عام ١٩٦٧م هي أراضٍ يهودية محتلة من قبل العرب الفلسطينيين ، فإن التهويد أو حركة الاستيطان لم تعد غير شرعية ؛ بل أصبح وضعها الحالي دون تهويد هو غير الشرعي!

٥ ـ تهويد البشر بمخطط قانون " الولاء" لـ "الدولة اليهودية":

بعد مخططات تهويد القدس عبر "تغيير الوضع القانوني" على الأرض ؛ تم إقرار قانون "الولاء" لـ "الدولة اليهودية" في ١٣/ ١٠/ ٢٠١٠م ، بحيث أصبح منح الهوية الإسرائيلية لأي من مواطني إسرائيل بعد أداء الولاء لإسرائيل والاعتراف بيهوديتها ، وهو ما سيلزم فلسطينيي١٩٤٨م الاعتراف بإسرائيل اليهودية ، وأداء قسم الولاء لها أو الطرد ، ويخدم هذا القانون مع غيره من القوانين التي سيتم تعديلها ما سمي بأنه "لا توجد مواطنة بدون ولاء " ، وسحب هذه المواطنة من أي شخص تثبت خيانته لـ "الدولة اليهودية".

الزعم اليهودي بأن القدس لم يرد ذكرها في القرآن الكريم:

من مزاعم الأصولية اليهودية أن القدس ورد ذكرها في التوراة ، ولم يرد ذكرها في القرآن الكريم ، وهذا دليل واضح على يهوديتها من الناحية الدينية.

وبالرغم من أن هذا الزعم ليس جديدًا فهو يعود إلى المؤتمر اليهودي الأول في١٨٩٧م ، أي: "الأرض الموعودة" ، فقد أشار هذا المؤتمر إلى "الحق الديني" في العودة إلى المكان المتغير بعامل الزمن ، والذي كان لا بد من طرد المحتلين له للحلول محلهم!

إلا إننا نشير أيضًا إلى أنه "لا قدسية للقدس في النصوص التوراتية لدى اليهود" ، بل إن الآباء الأوائل للإسرائيليين لم يذكروا القدس في تراثهم ، ولم تكن هذه المدينة تعني إبراهيم (عليه السلام) من قريب أو بعيد ، ولم

يذكرها على الإطلاق ابنه إسحاق ، ولا حفيده يعقوب ، ولا الأسباط الاثنا عشر ، ولم يعرفها موسى (عليه السلام) ولا الخارجون معه من مصر ، ولا حتى يوشع.

صحيح أن المدينة ذكرت بالفعل في سفر التكوين لكن دون تفضيل لها من قِبَلِ رب إسرائيل أو أمر بتقديسها ، والأسفار الخمسة لا تشير إلى أية خاصية تتمتع بها مدينة القدس.

كما أن هيكل سليمان لم يكن نموذجًا معماريًّا فريدًا ، خاصة وأن الإسرائيليين في هذه الفترة كانت تنقصهم الخبرة المعمارية في تشييد المعابد ، وتصميم معبد سليمان يشابه إلى حد كبير المعبد الكنعاني المكتشف في منطقة بيسان ، ويرجع تاريخه إلى عام١٣٠٠ق.م ، أي قبل أن تطأ أقدام بني إسرائيل أرض كنعان ، ومعبد سليمان يتكون من غرفة خاصة وغرفة عليا تقع في نهاية الغرفة الرئيسة للمعبد ، بل إن إله إسرائيل لم يحدد على الإطلاق لا لداود ولا لـ "سليمان" (عليهما السلام) مكان إقامة بيته وسكنه ، وإنما كان الأمر كله مجرد اختيار داود وسليمان (عليهما السلام) ، وهذا في حد ذاته لا يعكس قداسة المكان الذي حاكت من حوله "الأصولية اليهودية" الأساطير التي لا تستند إلى حقائق تاريخية مثبتة.

أما عند العرب والمسلمين فقد احتلت القدس مكانة رفيعة في قلوبهم باعتبارها قبلتهم الأولى في صلاتهم ، وهي مسرى الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، وقد حرص المسلمون على دخول المدينة صلحًا ؛ لما لها من مكانة

وقداسة عند وصول الانتشار العربي الإسلامي إلى مشارفها في القرن السابع الميلادي ؛ حيث حضر الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) بذاته لتسلم المدينة وإقرار مبادئ الصلح ، ومنذ ذلك الحين أصبحت مدينة القدس عربية إسلامية ووفدت القبائل العربية إلى الشام ، وأصبح العنصر العربي الإسلامي والمسيحي بمرور الوقت هو الغالب في القدس.

ـ وعلى هذا الأساس نؤكد ما يلي:

١ – أن القدس كانت وستبقى في بنية وجوهر عقيدة المسلم ، وما يتم من محاولات تغيير الوضع القانوني فيها بهدف تهويدها وطمس هويتها العربية واقتلاع الوجود الإسلامي فيها ليس إلا تزويرًا لتاريخها وشخصيتها الحضارية المميزة .

ولا شك أن الروايات اليهودية الدينية المستندة إلى الأساطير فقط ، وإلى مقولات حاخامات اليهود المتطرفين يقصد منها التشويش على الرأي العام العالمي ؛ ليوهموه بأنه كان لهم موطئ قَدمٍ في القدس خصوصًا وفي فلسطين التاريخية عمومًا قبل العرب من مسلمين ومسيحيين ، وهذا كله من قبيل المزاعم المغلوطة التي يجب كشف حقيقتها للحفاظ على هوية وتاريخ القدس العربية دون أي تغيير لوضعها القانوني .

٢– يؤكد المؤرخون وخبراء الآثار أن إسرائيل ليست لها آثار في أرض فلسطين التاريخية ، كما زعمت "الأصولية اليهودية" منذ أواخر القرن

التاسع عشر الميلادي وبداية العشرينات من القرن الماضي ، كما أكدوا على أن هذه الآثار هي عربية وإسلامية بحكم التاريخ والموقع ، وهو ما تؤكد عليه أيضًا المصادر التاريخية والوثائق الأثرية القديمة.

ولعل أهم ما يثبت عروبة القدس وتاريخها العربي والإسلامي هي النقود ، ولذلك نؤكد على أن النقود التي تم صكها خلال العصور الإسلامية تثبت وتبرهن على عروبة القدس باعتبارها من الوثائق الرسمية ، وأن هذه النقود سواء كانت من العملات الذهبية أو الفضية تكشف عن ادعاءات "الأصولية اليهودية" الباطلة في تزييف التاريخ وتشويه الحقائق.

وفي هذا السياق أشير إلى الدراسة الأكاديمية الإسرائيلية التي نشرت في إسرائيل عام ٢٠٠٧م للباحث والمؤرخ الإسرائيلي "شلوموزاند" الأستاذ بجامعة تل أبيب تحت عنوان: "متى وكيف تم اختراع الشعب اليهودي؟" والتي دحض فيها المرتكز الأساس للفكرة القومية اليهودية ؛ وهي أن "فلسطين أرض الميعاد" للشعب اليهودي.

والغريب أن هذه الدراسة التي عمرها الآن أكثر من اثني عشر عامًا لم تَحْظَ بالاهتمام الإسلامي والعربي ، إذ يجب تسويقها لصالح الحق العربي المغتصب ، ودحض محاولات تهويد القدس العتيقة وفيها "المسجد الأقصى الشريف" و"المقدسات المسيحية".

٣- رفض أي تغيير للوضع القانوني للقدس بالاستناد إلى قرارات الشرعية الدولية ، ومنها قرار التقسيم لعام ١٩٤٧م ، وقرار مجلس الأمن الدولي ٢٤٢ بتاريخ ٢٢/ ١١/ ١٩٦٧م ، الذي نص على: "انسحاب القوات المسلحة الإسرائيلية من الأراضي التي احتلتها في حرب حزيران ١٩٦٧م ، وإنهاء جميع ادعاءات وحالات الحرب ، والاحترام والاعتراف بسيادة ووحدة أراضي كل دولة في المنطقة ، واستقلالها السياسي ، وحقها في العيش بسلام ضمن حدود آمنة ومعترف بها ، حرة من التهديد بالقوة أو استخدامها".

وفي هذا السياق أكد "اللورد كارادون" البريطاني في عام ١٩٧٩م وهو الذي صاغ مشروع القرار ٢٤٢ على أن هذا القرار ينطبق على القدس الشرقية بحيث تكون الدولة الفلسطينية مسئولة عنها في نطاق سيادتها ، كما تكون القدس الإسرائيلية مسئولة عنها إسرائيل في نطاق سيادتها.

وجاء في قرار مجلس الأمن الدولي رقم٢٥٢ تاريخ ٢١/ ٥/ ١٩٦٨م ، "أن المجلس يعتبر جميع الإجراءات الإدارية والتشريعية التي قامت بها إسرائيل بما في ذلك مصادرة الأراضي والأملاك التي من شأنها أن تؤدي إلى تغيير في الوضع القانوني للقدس هي إجراءات باطلة ، ولا يمكن أن تُغَيِّر من وضع القدس".

وأكد قرار مجلس الأمن رقم ٤٧٨ بتاريخ٢٠/ ٨/ ١٩٨٠م ، على عدم اعترافه بالقانون الأساسي بشأن توحيد القدس الشرقية والغربية وجعلها عاصمة موحدة وأبدية لإسرائيل.

وأعرب قرار مجلس الأمن رقم ٦٧٢ تاريخ١٣/ ١٠/ ١٩٩٠م عن قلقه العميق للأعمال التي وقعت في ٨/ ١٠/ ١٩٩٠م في الحرم القدسي الشريف، وأدان المجلس ما ارتكبته قوات الأمن الإسرائيلية ضد المدنيين الفلسطينيين ، وطلب من إسرائيل الوفاء بالتزاماتها وبالإجراءات القانونية بحماية المدنيين زمن الحرب التي تضمنتها اتفاقية جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩م ، والتي تنطبق على جميع الأراضي التي احتلتها إسرائيل بحرب عام ١٩٦٧م.

ودعا قرار مجلس الأمن رقم ١٠٣٧ بتاريخ ٢٩/ ٩/ ١٩٩٦م - بشأن الأحداث الدامية التي رافقت افتتاح نفق القدس- إسرائيل إلى التراجع عن جميع الإجراءات التي أسفرت عنها هذه الأحداث ، وحماية المدنيين الفلسطينيين .

كما طالب البيان الذي أصدره مجلس الأمن الدولي بتاريخ ١٣/ ٨/ ١٩٩٨م إسرائيل بالتراجع عن توسيع بلدية القدس ، واصفًا القرار الإسرائيلي في هذا الشأن بأنه تطور خطير وضار ، مؤكدًا على ضرورة عدم اتخاذ أي خطوات من شأنها استباق نتيجة المفاوضات مع

الفلسطينيين ، ومطالبًا إسرائيل بتنفيذ جميع التزاماتها القانونية بدقة ؛ بحماية الأماكن والمدنيين زمن الحرب بموجب المادة ١٤٧ من اتفاقية جنيف الرابعة لعام ١٩٤٩م ؛ والتي تحظر بناء أي مستوطنات في الأراضي الفلسطينية والعربية المحتلة ؛ لأن في ذلك تغييرًا للوضع القانوني للأراضي التي احتلتها عقب حرب ١٩٦٧م.

* * *

السيادة على القدس والشرعية الدولية (•)

لقد أسرى الله (سبحانه وتعالى) برسوله محمد (صلى الله عليه وسلم) من البيت الحرام في مكة المكرمة إلى المسجد الأقصى ؛ ليريه من آياته الكبرى في هذا المكان المقدس ، وسجل ذلك في آياته الكريمة: {سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ}(١) .

إن التفاصيل التي تروى بها قصة الإسراء والمعراج تجعلنا نستلهم وجوهًا من البركة والتقديس تجعل عقول وأفئدة المسلمين في كل زمان ومكان تهفو إليه ؛ ويكفي أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) وصل إلى المسجد الأقصى ليجد الأنبياء في انتظاره ؛ لكي يؤمهم في الصلاة .

ويكفي أنه (صلى الله عليه وسلم) صعد من المسجد إلى الأفق الأعلى ؛ ليتلقى التوجيه الرباني عند سدرة المنتهى: { وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى}(٢) .

•) كتب هذا البحث: أ.د/ جعفر عبد السلام ، الأمين العام السابق لرابطة الجامعات الإسلامية (رحمه الله).

(١) سورة الإسراء :١.

(٢) سورة النجم : ١٣-١٨.

لذا كان من الطبيعي أن يتقدس هذا المكان عند المسلمين ، كما كان من الطبيعي أن يسعى المسلمون لفتح بيت المقدس ، وقد تحقق لهم ذلك في فترة ازدهار الدولة الإسلامية.

إن القدس تفرض نفسها على البحث باعتبارها المدينة الوحيدة في العالم التي تجمع مقدسات تنتمي إلى كافة الديانات الكبرى في العالم وهي الإسلام واليهودية والمسيحية ، ولو كانت هذه المدينة قد استمرت تحت الحكم العربي الإسلامي كما كانت في معظم فترات تاريخها لما كانت هناك مشكلة ، ولكن خضوع هذه المدينة للاحتلال ، وقيام إسرائيل بضمها إليها في نطاق ما يعرف بالقانون الأساسي وذلك بعد أن تمكنت من إلحاق هزيمتين بالدول العربية الأولى في عام ١٩٤٨م ، والثانية في عام ١٩٦٧م هو الذي أوجد كافة المشكلات .

إن القدس بالنسبة للعرب والأمة الإسلامية قضية أساسية ولا يمكن أن يساوم عليها المسلمون والعرب ؛ لأنها جزء أساس من تاريخهم وتراثهم الديني والوطني ، فجذورهم ضاربة في أعماق تاريخ هذه المدينة التي بناها العرب وعمرها المسلمون ، هذا تاريخ امتزج فيه التراب بالدم بالبناء.

ومن ثم مهما ادعى اليهود بأن القدس عاصمتهم فإن هذا الادعاء زيف وبهتان ، وهناك عدد من الحكماء لا يمكن أن يقبلوا استمرار هذا الزيف لأهم مدينة ، تاريخها الحضاري والديني والثقافي معروف وموثق في المراجع والمصادر التاريخية والأثرية المشهودة .

لقد كان لخضوع هذه المدينة المقدسة تحت قبضة الاحتلال آثار ضارة بالإنسانية كلها حيث شرعت في تغيير الطبيعة الجغرافية والديموجرافية للمدينة ، وأخذت تطبق عليها سياسة التهويد بما يتضمنه ذلك من استيلاء على الأراضي لإقامة المستوطنات الإسرائيلية عليها ، وإقامة أبنية أخرى تخالف الطابع العام للمدينة ، فضلاً عن الاعتداء على الأماكن المقدسة للديانات الأخرى ، بالحرق تارة وبالهدم والتغيير تارة أخرى ، إلى غير ذلك من وسائل.

وتمثل هذه الممارسات مخالفات قانونية دولية ، ومن ذلك المخالفات المتعلقة بالإساءة إلى المقدسات بشكل عام والمقدسات الإسلامية والمسيحية بشكل خاص.

وإن كانت الأمم المتحدة – منذ أن وضعت المشكلة الفلسطينية في جدول أعمالها بواسطة بريطانيا باعتبارها الدولة التي كانت منتدبة على فلسطين – قد قامت بدور له أهميته النظرية والعملية على الأفعال التي تقوم بها إسرائيل في مدينة القدس ، هذا الدور والجهد اضطلعت به الجمعية العامة للأمم المتحدة بشكل رئيس ، وكان لمجلس الأمن دوره كذلك ، وإن كان هذا الدور لم يكن فعالاً أبدًا بسبب التدخلات من أجل عدم صدور أي قرار قوي يدين إسرائيل أو يحاول توقيع أية عقوبات عليها ، وقد أيد في فترات سابقة مجلس الأمن بعض الحقائق الأساسية التي اقتنع بها المجتمع

الدولي بالنسبة لمدينة القدس على وجه الخصوص ، حيث إننا نجده يدين التغيرات التي تدخلها إسرائيل على طبيعة المدينة ويؤكد على ما يجب أن يتوافر للمقدسات الدينية فيها من حماية.

ونستطيع أن نؤكد في هذه الدراسة أن القانون الدولي يضفي حماية واسعة على المقدسات التي توجد في المدينة ، وأن كافة مصادره تتضمن أحكامًا لها أهميتها في هذا الإطار ، فنجد هذه الحماية واردة في "المبادئ العامة للقانون": إذ إن الأنظمة القانونية الرئيسة للدول المختلفة تنظمها الأعراف الدولية ، وأخيرًا تضمنت هذه الحماية مجموعة اتفاقات هامة أقرت حماية واسعة لهذه المقدسات في وقت السلم وفي وقت الحرب ، وفي ظل نظام الاحتلال كذلك.

ونحاول أن نعرض في هذا المبحث حكم القانون الدولي في التنظيم الذي يجب كفالته للأماكن المقدسة بشكل عام ، وبالنسبة للأماكن المقدسة من المدينة بشكل خاص ، هذا التنظيم الذي يؤثر تمامًا على التنظيم القانوني والسياسي الذي يجب أن يُكفل للمدينة.

والواقع أنه كان للأماكن المقدسة دائمًا ومنذ فجر التاريخ نظام الحماية الذي يُكفل لها ولكل من يدخلها ، وكثيرًا ما كان الناس يلجأون إليها لوقف أي مكروه يتعرضون له ، وجاءت القوانين الحديثة سواء الداخلية أم الدولية لتؤكد هذه الحماية ، ولتعطي لكل إنسان الحقوق الكاملة في ممارسة حرية العقيدة ، ونظرًا لأهمية حماية هذه الأماكن دائمًا في

وقت السلم وفي وقت الحرب على السواء ولاحتمال أن تتعرض حصانتها للانتهاك في زمن الحرب تُكفل الحماية الكاملة لهذه الأماكن بمقتضى القانون الدولي[1].

وتطبيقًا لهذا النظام العام للأماكن المقدسة والتي تكفله لها قواعد القانون الدولي ، وجدنا أكثر من صك وأكثر من وثيقة تفرض نظامًا لحماية المقدسات الدينية في المدينة المقدسة ، مصدرها قرارات المنظمات الدولية وعلى رأسها الأمم المتحدة.

الحماية القانونية للمقدسات الدينية:

نجد أن القانون الدولي قد بدأ يتدخل في توفير الحماية للمقدسات الدينية منذ وقت طويل ، فهذه المقدسات تحتاج إلى الحماية بحكم أن الناس يلجأون إليها لاستبعاد أي ضرر يقع عليهم خارجها ، وتغذي أحكام الشرائع الدينية هذا المبدأ بكثير من الأحكام ، وعلى سبيل المثال نجد الشريعة الإسلامية تقرر هذه الحماية لأماكن العبادة إسلامية أم مسيحية ، فيقول المولى (عز وجل) عن المسجد الحرام: {وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا}[2]، ويقول في آية أخرى: {فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا ولله عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا}[3].

---

(١) القانون الدولي لحقوق الإنسان ، د/ جعفر عبد السلام ، دار الكتاب المصري ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، سنة ١٩٩٩م.

(٢) سورة البقرة : ١٢٥.

(٣) سورة آل عمران : ٩٧.

وهذه الآيات الكريمة إنما تسجل إعطاء حصانة كاملة للأماكن المقدسة ؛ لذلك قرر القرآن الكريم في موضع آخر مبينًا فضله على العرب: {أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ الله يَكْفُرُونَ}(١) ، وهو ما صار عرفًا ، حتى إن الرجل من العرب كان إذا لقي فيه قاتل أبيه أو أخيه لم يتعرض له ، فلا يخاف من دخله ولا يحمل العدو فيه السلاح ، وروي عن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أنه قال: " إِنَّ الله حَرَّمَ مَكَّةَ ، فَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي ، وَلاَ تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي ، وَإِنَّمَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ "(٢).

وهكذا أُثبتت حماية أماكن العبادة الدينية في الشريعة الإسلامية وتأكدت للحرم المكي الشريف وللحرم النبوي في المدينة ، وقد عاقب سبحانه وتعالى أبرهة الحبشي عندما أراد أن يهدم البيت الحرام ؛ لذا يقول الأزرقي: إنه في كل مرة يدفع الله عن بيته الحرام ظلم الظالمين وبطش الجبارين ، وقد ذكر القرآن الكريم قصة ردّ الله تعالى على غزو أبرهة الحبشي ، فقال تعالى: {أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ }(٣).

---

(١) سورة العنكبوت: ٦٧.

(٢) صحيح البخاري ، كتاب جزاء الصيد ، باب لا ينفر صيد الحرم ، حديث رقم ١٨٣٣.

(٣) سورة الفيل: ١ – ٥.

وإذا كانت حماية المقدسات واجبة في الظروف العادية ، فإنه في ظروف الحرب تكون الحماية أشد وأوجب ؛ لذا وجدنا توصيات الرسول (صلى الله عليه وسلم) لأصحابه عند ذهابهم لقتال العدو واضحة في ضرورة ترك من فرَّغوا أنفسهم للعبادة في الصوامع وعدم التعرض لهم بأي أذى.

وقد أقر القانون الدولي بهذه الحماية ، خاصة في ظروف الحرب ، وإذا كان العرف الدولي هو المصدر الرئيس للقانون الدولي في هذا الشأن إلى وقت طويل ، إلا أن المصادر الأخرى ، كالاتفاقات وقرارات المنظمات الدولية صارت لها أهمية فائقة فيما نحن بصدده.

حماية الأماكن المقدسة في مدينة القدس:

نظرًا لأن الأوضاع التي وجدت فيها مدينة القدس في العصور الحديثة تجعلها تختلف عن أية مدينة أخرى ، كما أن صفة التقديس لها متصلة بالأديان الثلاثة وبملايين البشر من كل جنس ولون ؛ الذي جعل الأماكن المقدسة فيها تحتاج إلى نظم خاصة لحمايتها ، خاصة أنها في يد دولة احتلال تدعي الآن أن لها عليها حقوقًا تجعلها تؤثر على حقوق الطوائف والديانات الأخرى.

ولذا فإننا نستطيع أن نقول: إن هناك قانونًا خاصًّا يحمي الأماكن المقدسة في المدينة ، يستلهم خطوط القانون الدولي العام وقواعد حماية حقوق الإنسان ويتجاوزها بوضع أسس ومبادئ تواجه الظروف التي عاشت وتعيش فيها هذه المدينة ، ونستطيع أن نستنتج هذه المبادئ من

مجموعة من التشريعات والبيانات والإعلانات والقرارات الصادرة من المنظمات الدولية ، وعلى رأسها الجمعية العامة للأمم المتحدة ، ومجلس الأمن، ونستطيع أن نجمل هذه المبادئ فيما يلي:

أولا: **حرية ممارسة الشعائر لأتباع الأديان الثلاثة**:

وهذا المبدأ لا خلاف عليه ، ويتفق مع مبادئ حقوق الإنسان ، وفي فترة الحكم الإسلامي قد أمنهم عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) على كنائسهم ، وسمح الإسلام في مختلف العهود لليهود بحرية العقيدة وبحق ممارسة شعائرها.

وقد أورد صك الانتداب البريطاني على فلسطين أحكامًا لها أهميتها في هذا الصدد ، ويمكن أن نجملها في الآتي:

١- إن سلطة الانتداب تضطلع بالمسئوليات الأساسية المتعلقة بالأماكن المقدسة والمباني.

٢- إنه يدخل في هذه المسئوليات المحافظة على الحقوق القائمة.

٣- يجب على السلطة أن تضمن حرية العبادة ، وضمان ممارسة كل طائفة دينية شعائر دينها.

ثانيا: **حرية الوصول إلى أماكن إقامة الشعائر**:

وهذه الحرية مرتبطة بحرية العقيدة ومترتبة عليها ، ولذلك نجد تأكيدًا لها بالنص في صك الانتداب المادة ١٣ ، حيث ألزم سلطة الانتداب بمسئولية ضمان حرية الوصول إلى الأماكن المقدسة والمباني والمواقع الدينية ، وقد

أقرت الحكومة الإسرائيلية بهذا المبدأ حيث جاء في القانون رقم ٧٥٢٧ لسنة ١٩٧٦م التزامًا بضرورة كفالة وصول أبناء الأديان إلى الأماكن التي يقدسونها ، مع النص على عقوبة لكل من يَحُول دون ذلك ، وإن كانت إسرائيل تخالفه في العمل ، وتكاد تصادر هذا الحق.

ثالثا: الحفاظ على الأماكن المقدسة:

الواقع أن هذا المبدأ يكمل المبدأين السابقين ، فلا يمكن ممارسة حرية العقيدة أو تقرير حرية الوصول إلى أماكن العبادة دون الحفاظ على هذه الأماكن من كل اعتداء أو تغيير من شأنه أن يهدد سلامة واستمرار هذه الأماكن ؛ لذا وجدنا هذا الالتزام واضحًا على سلطة الانتداب البريطاني في صك الانتداب ، حيث أورد التزامًا بحماية الأماكن المقدسة والمباني أو المواقع الدينية ، والغريب أن الحكومة الإسرائيلية وإن كانت قد أقرت بهذا الالتزام وأصدرت قانونًا لتأكيده والذي جاء فيه أنه تحفظ الأماكن المقدسة من أي انتهاك لحرمتها ومن أي شيء قد يمس بحرية وصول أبناء الأديان.. أو بمشاعرهم تجاه هذه الأماكن ونص على عقوبة الحبس خمس سنوات لكل من يعتدي على هذه الأماكن فإنها عمليًّا تخالف هذا المبدأ.

تأثير المقدسات الدينية على المركز القانوني لمدينة القدس:

إن وجود مقدسات لملايين الأفراد من البشر فرض نفسه دائمًا على النظام القانوني والسياسي لهذه المدينة ، تجلى ذلك في مختلف عصور التاريخ التي جعلت الصبغة الدموية تؤثر على تاريخ المدينة لحقب طويلة من الزمن.

ولقد أدى ذلك إلى قيام العديد من الدول ومعهم الأمم المتحدة نفسها إلى المناداة بتدويل القدس وجعلها تابعة لمجلس الوصاية الدولي الذي قام بوضع نظام كامل لحكم المدينة دوليًّا بما يكفل تنفيذ القانون الديني للمدينة.

والواقع أن العرب والمسلمين وقفوا دائمًا ضد تدويل المدينة ، مستندين إلى مجموعة من الحجج ، في مقدمتها: أن القدس مدينة عربية محتلة والتدويل ينزع ملكيتها رغمًا عنهم ، كذلك فقد عرفت المدينة الاستقرار في ظل الحكم العربي الإسلامي لها ، ولم تكن هناك مشاكل لها أهميتها طوال فترة السيطرة العربية على المدينة ، وأخيرًا فإن تجارب التدويل التي جرت في العصر الحديث لم تلق نجاحًا سواء بالنسبة لمدينة "دانزج" أو لمدينة "تريستا" التي انتهى الحال بهما إلى الخضوع لسيطرة دولة من الدول.

ورغم أن إسرائيل قد ساندت في البداية مشروع تدويل المدينة عندما لم تكن قد وضعت يدها عليها ، ولكن بعد أن خضعت المدينة لها ، وسارعت بإعلانها عاصمة أبدية ودائمة لها رفضت أي دعاوى لتدويلها ، مستنده إلى زعمها بوجود حقوق تاريخية لها في المدينة ، وتحت هذه الدعاوى قامت وتقوم بنشاط دائب لإحلال الطابع اليهودي بالطابع العربي الإسلامي للمدينة ، سواء من ناحية السكان ، إذ جعلت غالبيتهم من اليهود ، أومن ناحية طبيعة المباني ، والمؤسسات التعليمية والثقافية

والاقتصادية ، وبالجملة الطبيعة الديموجرافية الكاملة للمدينة ، بل مما يؤسف له أن إسرائيل تقوم بحفريات واسعة في المدينة تهدد الأماكن المقدسة للديانات الأخرى.

وجدير بالذكر أن العرب يقرون بحقوق اليهود في ممارسة الشعائر ، في حين أن الصهاينة وإن كانوا لا يتجاهلون حقوق المسلمين والمسيحيين في أماكنهم المقدسة ، هذا من الناحية النظرية ، إلا أنهم في ظل السيطرة اليهودية انتقصوا حقوق الطوائف الأخرى ؛ بل صارت أماكنهم مهددة بالضياع فضلاً عن أن المدينة ليست مدينة يهودية ؛ بل مدينة عربية إسلامية ، ونجد ذلك بوضوح في القسم الشرقي الذي يُسَلِّم العالم كله أنه جزء محتل من أرض فلسطين العربية التي أخذت بالقوة في حرب ١٩٦٧م ، وكذلك بالنسبة للقدس الغربية التي تعد بدورها من الأراضي العربية المحتلة في عام ١٩٤٨م ، ومن ثم فبإعلانها عاصمة موحدة لإسرائيل وبإجراء التعديات المختلفة على الأماكن الإسلامية والمسيحية المقدسة فيها ؛ فإن إسرائيل تنتهك القانون الدولي لحقوق الإنسان.

تطور السيادة على القدس حتى العصر الحاضر

- القدس مدينة عربية إسلامية:

إن مدينة بيت المقدس عربية إسلامية ؛ لأن معجزة الإسراء والمعراج حين ربطت بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى تضمنت البشارة العظيمة

بجعل هذين المسجدين أماكن مقدسة في ديار المسلمين ، وتحققت هذه البشارة حين فتحها "عمر بن الخطاب"(رضي الله عنه) في ١٥هـ ٦٣٧مـ ؛ بل تحكى لنا كتب التاريخ والسير أن أهل هذه المدينة هم الذين قاموا بتسليمها والتنازل عنها إلى "عمر بن الخطاب" (رضي الله عنه) وسألوه العهد والميثاق والذمة ، فكتب إليهم عهدًا بذلك ، ومن أهم ما ورد فيه: "هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء من الأمان ، أعطاهم أمانًا لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم وسقيمها وبريئها أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ، ولا ينقص منها ولا من حيزها ولا من صليبهم، ولا من شيء من أموالهم ولا يكرهون على دينهم ولا يضار أحد منهم ، ولا يسكن بإيلياء معهم أحد من اليهود[١].

ودخل المسلمون القدس في عام ١٥هـ/ ٦٣٧م ، وقد حكم المسلمون هذه المدينة منذ هذا التاريخ ، والواقع أن الطابع العربي الإسلامي قد أثر تأثيرًا واضحًا على المدينة وتاريخها ، فإلى جانب بروز مقدسات إسلامية لها أهميتها ، حكم المسلمون مجتمعًا له مقدساته الأخرى ، اليهودية والمسيحية ، هذا الحكم تميز بإجماع المؤرخين بالتسامح وبالسماح بممارسة شعائر كافة الأديان في المدينة ، وقد ظهر هذا التسامح والاحترام لمشاعر وعقائد وشعائر الآخرين منذ دخول خليفتهم العادل عمر (رضي الله عنه) إلى المدينة ، وعلى مدار الحكم الإسلامي على اختلاف القائمين عليه.

---

(١) انظر: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميد الله، دار النفائس.

حيث نجد أن الخليفة عمر (رضي الله عنه) قد حرص على أن تظل كنيسة القيامة بأيدي المسيحيين ، وهي من الأماكن المقدسة لديهم ، وفي الوقت نفسه باعد بينهما وبين أن تكون مكانًا مقدسًا للمسلمين عندما رفض عمر (رضي الله عنه) الصلاة فيها ، كذلك فقد أعطاهم الأمان الأمر الذي أوضح النمط الذي يجب أن يسود بالنسبة للأماكن المقدسة ، وفضلاً عن ذلك فقد تضمن الحقوق الرئيسة للإنسان التي أعلنتها وثائق القرن العشرين[١].

وعلى مدار التاريخ الإسلامي للمدينة بنيت العديد من المساجد والمدارس والتكايا الإسلامية لتعطي الطابع العربي الإسلامي لهذه المدينة ، وقد حكمت المدينة من قبل الخلفاء الراشدين ، ففتحت في عهد الخليفة عمر بن الخطاب ثم الخليفة عثمان بن عفان ثم الخليفة علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم) ، ثم في عهد الأمويين زاد الاهتمام بها ، وفتر هذا الاهتمام قليلاً في عهد العباسيين ؛ حيث شهدت المدينة سيطرة صليبية عليها وتم تطهيرها منهم على يد "صلاح الدين الأيوبي" ، لتنتقل إلى الحكم المملوكي ثم العثماني بدءًا من عام ١٥١٧مـ حتى ١٩١٧م ، وهكذا نجد أن حكم المسلمين للمدينة قد دام ثلاثة عشر قرنًا.

---

(١) القانون الدولي لحقوق الإنسان.

ـ الوضع القانوني الدولي لمدينة القدس في الوقت الحاضر:

كانت مدينة القدس إحدى المدن التي يتكون منها إقليم فلسطين الذي كان جزءًا من الشام الكبير لوقت طويل تحت الحكم العثماني ، وعندما هزمت الدولة العثمانية في الحرب العالمية الأولى في عام ١٩١٧م كانت هناك مؤامرات دولية لتقسيم أملاكها بين الدول المنتصرة في هذه الحرب ، دول الحلفاء وعلى رأسها المملكة المتحدة "بريطانيا" وفرنسا ، بينما كانت الوعود تقدم من جانب بريطانيا لتكوين دولة عربية تضم بين ما تضم الشام الكبير بما فيه فلسطين.

فلسطين تحت الانتداب:

يشهد التاريخ أن بريطانيا بدلاً من وعودها وضعت فلسطين تحت الانتداب البريطاني من الفئة الأولى ، بما يشهد بأن فلسطين كانت قريبة من الحصول على مركز الدولة المستقلة ؛ إذ كانت بالقياس إلى معظم الأقاليم التي وضعت تحت الانتداب ، متقدمة في شئون الإدارة والحكم بما يؤهلها لنيل الاستقلال أو الحكم الذاتي ، وهما الهدف الذي يجب أن يتحقق في ظل الانتداب ، علمًا بأن الجانب الأكبر في هذه المؤامرة كان الجانب المتصل بالتعهد البريطاني بإقامة وطن قومي لليهود ، ذلك التعهد الذي قطعته بريطانيا على نفسها لأبناء يهود مقابل قيامهم بمساعدتها في حربها ضد الأعداء ، وكان وفاء بريطانيا هنا واضحًا ، فإن صك الانتداب الذي أبرمته مع عصبة الأمم تضمن الطريق إلى تحقيق "وعد بلفور" ، إذ نصت المادة

الثانية منه على أن: تكون الدولة المنتدبة مسئولة عن جعل البلاد في أحوال سياسية وإدارية واقتصادية تكفل إنشاء الوطن القومي لليهود ، ولم يهمل صك الانتداب النص على تسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين ، وكذلك تسهيل حصولهم على الرعوية الفلسطينية عن طريق سن قانون للجنسية يسمح بذلك.

على أن الوفاء البريطاني لليهود كان أوضح في العمل منه في الصكوك أو الوثائق ، هذا العمل الذي اختصت مدينة القدس فيه بأكبر قدر من التدابير والأعمال التي تكفل تحويلها إلى مدينة يهودية قبل قيام الدولة اليهودية بوقت ليس بالقصير.

ونستطيع أن نجمل الخطوات التي اتخذت في هذا السبيل من قبل سلطة الاحتلال البريطاني فيما يلي:

تخطيط المدينة:

قبل أن يتم " اللنبي" سيطرته على الشام استدعى "مالكين" مهندس الإسكندرية ليضع تخطيطًا للمدينة يحقق الهدف الصهيوني ، وقام بذلك خير قيام في مخططه الذي وضعه في عام ١٩١٨م ، فقد قسم المدينة إلى أربعة أقسام: البلدة القديمة وأسوارها ، المناطق المحيطة بالبلدة القديمة ، القدس الشرقية (العربية) ، القدس الغربية (اليهودية) ، وسمحت هذه الخطة بالبناء في القدس الغربية وجعلتها منطقة صالحة للتطوير ، بينما منعت ذلك تمامًا في البلدة القديمة ، وقيدته بشدة في القدس الشرقية ، وبذلك سمحت هذه

الخطة بإحكام تطويق القدس واستيطانها لمنع أي توسع عربي محتمل ، ومحاولة السيطرة على الحكم البلدي للمدينة ليتسنى السيطرة تمامًا على المدينة وتحويلها إلى عاصمة لإسرائيل.

الهجرة إلى المدينة:

سمحت بريطانيا بالهجرة اليهودية إلى القدس بشكل واسع خاصة بعد صعود النازية إلى حكم ألمانيا سنة ١٩٣٣م ، مما قلب التكوين الجغرافي في المدينة لصالح اليهود بحيث صاروا يمثلون ٦٠٪ من عدد السكان في عام ١٩٤٦م ، بينما لم تزد نسبتهم في عام ١٩٢٢م عن ٢١٪ من عدد السكان.

المؤسسات اليهودية في القدس:

ساعدت حكومة الانتداب على جذب الاستثمارات الأمريكية والأوروبية للمساعدة على إقامة الوطن القومي اليهودي ، وساعدت على إقامة مجموعة من الهيئات والمؤسسات اليهودية لكي يتحقق ذلك الهدف في المدينة المقدسة مثل: اللجنة التنفيذية للمنظمة الصهيونية العالمية **"WZO"**، والوكالة اليهودية **"Jewish agency"** ، والصندوق التأسيسي والصندوق القومي لليهود ، فضلاً عن الجامعة العبرية ومستشفى (هداسا) الجامعي ، وروعي في إقامة هذه المؤسسات أن تقام على هضبة سكويس في الجهة الشمالية الشرقية من المدينة القديمة وهو الاتجاه الوحيد الذي كان يسمح بالتوسع العربي في المدينة ، مما شكل حصارًا كليًّا للتوسع العربي فيها.

ومن المفارقات الغريبة أن ذلك قد حدث في الوقت الذي وعدت بريطانيا العرب بتأسيس دولة مستقلة لهم في عام ١٩١٥ – ١٩١٦م في إطار محادثات "الشريف حسين" مكما هون ، ومن خلال رسائل أخرى أرسلت إلى الحسين بن علي في وقت لاحق على ذلك في عام ١٩١٨م وبعد أن كانت الحكومة البريطانية قد أصدرت "وعد بلفور" فقد أصدرت بيانًا آخر ذكرت فيه أن: "دول الوفاق عاقدة العزم على منح الجنس العربي فرصة كاملة لتكوين أمة في العالم مرة أخرى وفيما يتعلق بفلسطين ، فإننا عاقدو العزم على ألا يكون أي قوم خاضعين لقوم آخرين[١].

كذلك أعلنت بريطانيا بعد احتلالها للمدينة في عام ١٩١٨م أن رغبة حكومة جلالة الملكة هي أن يقوم حكم هذه المناطق مستقبلاً على أساس مبدأ موافقة المحكومين ، وأعلنت في بيان مشترك مع فرنسا في يونيو من نفس العام: أن الهدف الرئيس الذي ترمي إليه فرنسا وبريطانيا العظمى من مواصلتهما الحرب حتى النهاية في المشرق هو التحرير الكامل الواضح للشعوب العربية وإنشاء حكومات وإدارات وطنية تستمد سلطتها من مبادرة السكان الأصليين واختيارهم الحر.

---

(١) انظر: الصراع العربي الإسرائيلي ، د/ جعفر عبد السلام ، ود/ محمود السيد حسن داود ، رابطة الجامعات الإسلامية ، القاهرة ، سنة ٢٠٠٦م.

لذلك أرى أن هذه البيانات والإعلانات هي التي تعبر عن حقيقة حق تقرير المصير الذي كان واجب التطبيق على فلسطين والقدس ، وخلاصتها ضرورة قيام أي حكومة للأقاليم المختلفة على مبدأ رضا المحكومين ، لذا فإن "ويلسون" قد أكد هذا المبدأ عندما ذكر أنه من بين المبادئ الأساسية التي التزمت بها الولايات المتحدة مبدأ موافقة المحكومين ، ويمكن أن نضيف إلى التاريخ النظيف لويلسون تخوفه من تطبيق المبدأ الذي نادى به من خلال نظام الانتداب واقتراحه بتعيين لجنة دولية يقع على عاتقها استيضاح الرأي العام في الأقاليم التي ستوضع تحت الانتداب ، وقيامه بتشكيل لجنة أمريكية ثنائية لتولي هذه المهمة بعد أن أحجم بقية الحلفاء عن تعيين أعضاء "لجنة كنج كرين" ، وقد قدمت اللجنة تقريرًا واضحًا ذكرت فيه أن السكان غير اليهود في فلسطين وهم تسعة أعشار السكان تقريبًا يرفضون البرنامج الصهيوني رفضًا باتًا ، وأن سكان فلسطين لم يجمعوا على شيء مثل إجماعهم على هذا الرفض ، واقترحت اللجنة تعيين الولايات المتحدة منتدبة على سوريا وفلسطين ، ولكن الحلفاء أهدروا تقرير اللجنة واعترف وزير خارجيتهم "بلفور" بأن هذا المبدأ – تقرير المصير – لن يطبق على فلسطين[1].

---

(١) القضية الفلسطينية وتطورها، دراسة أعدت للجنة حقوق الشعب الفلسطيني ١/ ٧، وما بعدها.

مركز القدس في إطار قرار تقسيم فلسطين:

إن حصيلة فترة الانتداب على فلسطين تمثلت في السماح بهجرة واسعة لليهود ، وفي تمكينهم من اتخاذ التدابير اللازمة لإقامة الوطن القومي حسبما جاء في "وعد بلفور" وقرار التقسيم ، ولكن الأزمات الناتجة عن هذه السياسة جعلت السلطة البريطانية تشعر بسوء ما فعلت ، وأصدرت كتابًا أبيض في عام ١٩٣٩م يعبر عن سياستها الجديدة في فلسطين ، والتي تتمثل في الآتي:

١ - وقف الهجرة اليهودية إلى إسرائيل ، إذ إن في السماح باستمرارها تخليدًا للعداوة بين الشعبين اليهودي والعربي ، وجعل فلسطين مصدرًا للاحتكاك الدائم بين جميع شعوب الشرق الأدنى والأوسط.

٢- رفض مبدأ تقسيم فلسطين والسماح بإقامة دولة يهودية فيها ؛ لأنها تعتبر في الواقع مما يخالف الالتزامات المترتبة عليها نحو العرب بموجب صك الانتداب والتأكيدات التي أعطيت للشعوب العربية فيما مضى أن يجعل سكان فلسطين رعايا دولة يهودية خلافًا لإرادتهم.

٣- تشكيل حكومة فلسطينية مستقلة -خلال عشر سنوات- يسهم فيها العرب واليهود على وجه يضمن المصالح الرئيسة لكل من الفريقين.

ويمثل هذا الكتاب الأبيض اعترافًا بضرورة مراعاة الإرادة العربية في تشكيل الحكومة التي يجب أن تقوم في فلسطين ، ولكن للأسف كانت

الأوضاع قد تغيرت تحت الحكم البريطاني الذي استمر عقدين ، فقد غيرت الهجرات اليهودية والأفعال التي قامت بها الوكالة اليهودية في فلسطين في عقدين من الزمان طبيعة الإقليم والقدرة على احتواء العناصر المتصارعة فيه، فضلاً عن أن اضطهاد اليهود في أوروبا في تلك الفترة جعل السلطة البريطانية تتساهل في قبول مزيد من اليهود في فلسطين ، وعمومًا كانت هذه السياسة البريطانية بمثابة ضربة لأهداف اليهود في اسرائيل مما جعلهم يتحولون إلى الولايات المتحدة الأمريكية لنيل تأييدهم لهم ضد العرب وضد سلطة الانتداب ، حتى إنه عندما انتهت الحرب العالمية الثانية كانت هذه السلطة غير قادرة على الإمساك بزمام الأمور في الإقليم مما جعلها تعرض المشكلة على الأمم المتحدة في عام ١٩٤٧م.

وعندما شكلت الأمم المتحدة لجنة لتقصي الأمور في الأراضي المحتلة في عام ١٩٤٧م ، كان من الصعب بأن تجمع على رأي حاسم في أسلوب حل المشكلة ، وظهر اتجاه قوي في ضرورة تقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية يجمع بينهما اتحاد اقتصادي ، وتدويل مدينة القدس ، وقد عارضه الاتجاه الآخر الذي رأى التقسيم مخالفًا للقانون ومن شأنه تفاقم المشكلة ، ولكن الجمعية العامة وافقت على رأي الأغلبية وأقرت التقسيم مع تحديد حدود لكل دولة ، وقد نص قرار التقسيم على أن تضع الجمعية التأسيسية من كل من الدولتين مشروع دستور ديمقراطي يتضمن المبادئ التي أوردها

القرار ، وهي مبادئ تتصل بكفالة المساواة وعدم التمييز في الحقوق المدنية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية للجميع ، وضرورة التمتع بكافة حقوق الإنسان .

والواقع أن قرار التقسيم قد صادر بدوره حق تقرير المصير للفلسطينيين ، مع أنهم كانوا يمثلون أغلبية السكان وقت صدوره ، وكانت الأغلبية تعارض بشدة قرار التقسيم ، وإن كان الإنصاف يقتضينا القول بأن قرار التقسيم اعترف بدولة فلسطينية على جزء محدود من أرض فلسطين ، لهم حقوقهم الكاملة كشعب ، ولا يمكن القول بأن رفض العرب له قد أثر على وجوده أو على استمرار الوضع على النحو الذي صار عليه فيما بعد ، إذ كثيرًا ما يقال: إن العرب قد أضاعوا الفرصة التي أعطاها لهم والواقع أنه ما أخذوا وما أضاعوا ، فالسطوة اليهودية والرغبة في ابتلاع كل فلسطين كانت واضحة ، ففي حرب ١٩٤٨م ابتلعت أغلب الأراضي الفلسطينية بما في ذلك القسم الأكبر من مدينة القدس.

فكرة تدويل القدس وضمها لإسرائيل:

إن قرارات تقسيم فلسطين قد أقرت وضعًا آخر لمدينة القدس بسبب أهميتها وقداستها بالنسبة لكل البشر الذين يدينون بديانة سماوية ، يتمثل في تدويلها وقيام مجلس الوصاية التابع للأمم المتحدة بإدارتها لمدة عشر سنوات يعاد النظر بعدها في النظام الذي يجب أن تحكم به المدينة بعد ذلك ، وقام

مجلس الوصاية بوضع معالم النظام الذي يحكم المدينة وإن لم يطبق هذا النظام أبدًا.

القرارات الدولية بشأن القدس:

تعارض مختلف القوى الدولية هذه السيطرة على أرض وحقوق الآخرين ، وعندما تم عرض الأمر للمرة الأولى على الأمم المتحدة في عام ١٩٤٧م ، وبدأت مناقشة المشكلة في الأمم المتحدة في دورة خاصة عقدتها الجمعية العامة لهذا الغرض ، وانتهت فيها إلى اتخاذ قرار بتشكيل لجنة خاصة للتحقيق في المشكلة من إحدى عشرة دولة.

وانتقل ممثلو هذه الدول إلى فلسطين ودرسوا المشكلة ، وقدموا تقريرًا اتفقوا فيه على بعض المسائل ، كوجوب انتهاء الانتداب ، واختلفوا حول أسلوب حل المشكلة بين رأيين: رأيٌّ للأغلبية وانتهى إلى ضرورة تقسيم دولة فلسطين إلى دولتين: عربية ويهودية ، ورأيٌّ للأقلية يقضي بإقامة دولة اتحادية مع وجود حكومتين مستقلتين إحداهما للعرب والأخرى لليهود ، وعلى أن تكون القدس عاصمة للدولة.

وقد وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة على رأي الأغلبية ، وأقرت تقسيم فلسطين إلى دولتين: عربية وإسرائيلية ، وحددت في القرار حدود كل دولة ، كما قضت بقيام اتحاد اقتصادي بين الدولتين ، وبتدويل مدينة القدس ، وقررت الجمعية العامة أن الحالة الحاضرة في فلسطين من شأنها إيقاع الضرر بالرفاهية العامة والعلاقات الودية بين الأمم.

وفي أعقاب صدور قرار التقسيم هذا ، اختلف رد فعل كل من اليهود والعرب تجاهه فقد اجتمع المجلس الوطني اليهودي في فلسطين ، وقرر إقامة دولة يهودية وفقًا لهذا القرار ، وشكل لجنة تنفيذية من عشرة أعضاء برئاسة "بن جوريون" لتنفيذ هذا القرار ، أما العرب فقد رفضوا هذا القرار وزحفت الجيوش العربية إلى فلسطين في ١٥ من مايو ١٩٤٨م وتدخل مجلس الأمن لأول مرة في النزاع العربي الإسرائيلي بناء على طلب الولايات المتحدة الأمريكية أثناء هذه الحرب ، وبعد مفاوضات طويلة دخلت القضية الفلسطينية في مرحلة جديدة ابتداء من الثالث عشر من يناير عام ١٩٤٩م حيث بدأت المفاوضات بين العرب وإسرائيل لعقد اتفاقيات الهدنة ، ومن النصوص التي وردت في كل هذه الاتفاقيات ذلك النص الذي يقضي بالإيقاف الدائم للقتال ، كما أن هذه الاتفاقيات قد حددت خطوطًا لوقف إطلاق النار لا يجوز لأي من الأطراف أن يتخطاها ، وخسرت الدولة العربية الحرب ، وأمكن لإسرائيل أن تطرد أكثر من مليون من السكان العرب من أراضيهم وفي١١/ ١٢/ ١٩٤٩م أصدرت إسرائيل بيانًا رسميًّا أعلنت فيه نقل عاصمتها إلى القدس.

ثم كان لحرب ١٩٦٧م وما ترتب عليها من سيطرة إسرائيل على القدس أثره في تغيير وضع المدينة ، وكان أول قرار استنكاري لموقف إسرائيل من المدينة المقدسة هو القرار الذي أصدرته الجمعية العامة للأمم

المتحدة في الرابع من يوليو عام١٩٦٧م والذي صدر بموافقة تسع وتسعين دولة دون أي اعتراض.

وكان مضمون هذا القرار على النحو الآتي:

"إن الجمعية العامة تشعر بقلق شديد إزاء الموقف السائد في القدس نتيجة الإجراءات التي اتخذتها إسرائيل لتغيير وضع المدينة:

- تعتبر هذه الإجراءات غير مشروعة.

- تدعو إسرائيل إلى إلغاء جميع الإجراءات التي اتخذتها والامتناع عن أي عمل من شأنه تغيير وضع القدس.

- ترجو السكرتير العام للأمم المتحدة أن يقدم تقريرًا على الجمعية العامة ومجلس الأمن حول الموقف ، وحول تنفيذ هذا القرار في موعد لا يتجاوز أسبوعًا واحدًا من تاريخ اتخاذه".

وقد رفضت إسرائيل الالتزام بقرار الجمعية العامة ، واستمرت في التأثير على وضع المدينة وتغيير معالمها.

وبعد فهذه طائفة من القرارات حول القدس فقط ، والواقع أنها تبرز موقفًا عامًا لهذه الدولة نراه في مواقفها من العديد من القرارات الأخرى التي صدرت على وجه الخصوص في هذه الفترة المهمة ، وما زالت الجمعية العامة للأمم المتحدة تؤكد حتى الآن على ضرورة السماح للعرب الذين فروا

من ديارهم نتيجة الاضطهاد الصهيوني بالعودة إلى ديارهم وأموالهم ، وبضرورة تعويض من لا يرغب في العودة منهم ، كما تقر المنظمة ومنظمات أخرى عديدة في العالم اليوم بضرورة نيل الشعب الفلسطيني لحقوقه غير القابلة للتصرف وحق تقرير المصير والاستقلال وتكوين دولة على ما بقي من أرض فلسطين ، بعبارة أخرى ، إحياء قرار التقسيم ، وبالنسبة لمدينة القدس فإن القوى الدولية ترى جعل الجزء الشرقي منها والذي يحتوي على المقدسات العربية الإسلامية عاصمة للدولة الفلسطينية التي يجب أن توجد، وتعارض الأمم المتحدة ما يتم اتخاذه من تدابير لتغيير طبيعة هذه المدينة وتهويدها بقرارات حاسمة تبطل أية تدابير من هذا القبيل.

* * *

القدس في قرارات الأمم المتحدة (*)

للقدس مكانة خاصة في القلوب ؛ لما لها من خصائص روحية في نفوسنا ، وأهمية عظيمة في ترسيخ هويتنا ، ومن أجل فهم قضية القدس في وقتنا الراهن يجب أن نرجع الى الإطار التاريخي والجغرافي للمدينة ؛ حتى نستوعب مدى أهمية القدس على مر العصور باعتبارها مدينة من أقدم مدن العالم ، تنافست للسيطرة عليها القوى العظمى في العالم منذ أقدم العصور وحتى الآن.

كذلك من المهم جدًّا معرفة الشرعية الدولية التي تحظى بها قضية القدس ، ومدى الاهتمام الذي توليه الأمم المتحدة ومجلس الأمن لقضية القدس.

ولقد حاولنا رصد ودراسة وتحليل القرارات الأممية ابتداءً من قرارات عصبة الأمم ، وهي أول منظمة دولية أنشئت بعد الحرب العالمية الأولى عام١٩٢٠م ، وكان مقرها جنيف ، وهدفها الرئيس: حفظ السلام الدولي ، والتسوية السلمية للمنازعات الدولية ، ثم قرارات منظمة الأمم المتحدة التي حلت محل عصبة الأمم بعد الحرب العالمية الثانية ، والتي أخذت على عاتقها منذ إنشائها إيجاد حلول للنزاع على القدس بين العرب واليهود ، فخصصت عدة دورات من الجمعية العامة ومن مجلس الأمن لدراسة

*) كتب هذا البحث: أ.د/ فوزية العشماوي، أستاذة الدراسات الإسلامية، جامعة جنيف سويسرا.

"قضية فلسطين" و"قضية القدس" ، وأصدرت قرارات متعددة بخصوص القدس سنحاول عرضها وتحليلها.

الإطار التاريخي للقدس:

لن يسمح المجال هنا لعرض الإطار التاريخي والجغرافي لمدينة القدس بإسهاب ولكن يكفي أن نذكر أن موقعها الاستراتيجي الفريد جعلها مطمعًا للقوى العظمى التي تكالبت للسيطرة عليها على مر العصور ، ابتداء من الألف الثالث قبل الميلاد حين أسسها الكنعانيون ، وهم قبائل خرجت من الجزيرة منبت الساميين ، وأقاموا فيها حضارة تضاهي حضارة مدن النيل والفرات في ذلك العهد البعيد ، ولقد أطلقوا عليها اسم "أورسالم" أو "أورشالم" ، أي مدينة الإله "سالم" أو "شالم" ، ومن هذا الاسم الكنعاني اشتق اسمها العبري " أورشليم" ومعناها البيت المقدس ، ثم استولت قبيلة اليبوسيين أحد بطون الكنعانية العربية على القدس حوالي عام ٢٥٠ ق.م ، فأطلقوا عليها اسم "يبوس" وبعدهم خضعت القدس للنفوذ المصري الفرعوني ابتداء من القرن ١٦ ق.م في عهد الملك "أخناتون" و"سيتي الأول" ، وقد نقش اسمها "أورسالم" على وثائق تل العمارنة.

ثم خضعت المدينة للعبرانيين الذين استمر حكم ملوكهم ثلاثة وسبعين عامًا فقط ابتداءً من الملك داود (عليه السلام) الذي حكمها أربعين عامًا خلال "القرن الحادي عشر قبل الميلاد" ثم ابنه الملك سليمان (عليه

السلام) الذي حكمها ٣٣ عامًا في "القرن العاشر قبل الميلاد" وهذه الفترة القصيرة "٧٣ عامًا" في عمر تاريخ القدس الطويل هي التي يرتكز عليها اليهود الإسرائيليون حتى الآن للتأكيد على الهوية اليهودية لأورشليم ، بالرغم من أن مدينة "أورشليم" هذه قد دمرت تمامًا على يد الآشوريين الذين أسروا سكانها اليهود ، وهو ما يطلق عليه "السبي الأول" ، وقد انهارت الدولة العبرانية هذه على يد البابليين خلال " القرن السادس قبل الميلاد" الذين دمروا القدس مرة أخرى عام ٥٨٧ ق.م على يد الملك البابلي "نبوخذ نصّر الثاني" الذي هزم آخر ملوك اليهود ؛ ونقل من فيها من يهود أسرى إلى بابل وهو "السبي الثاني" ، ثم وقعت القدس تحت سيطرة الفرس ثم الرومان .

وفي العهد الروماني ثم البيزنطي أصبحت المدينة مسيحية ، ويرجع اهتمام المسيحيين بالقدس منذ ذلك العهد لكونهم يعتبرونها المنبع الروحي للمسيحية ، ومنها انطلقت الدعوة لنشر المسيحية ، وذلك على الرغم من أن الرومان دمروا القدس تدميرًا تامًّا على يد الإمبراطور "إيليا هدريانوس" عام ١٣٦ ق.م والذي أقام في نفس الموقع مدينة جديدة أطلق عليها اسمه "إيليا" ، واحتفظت المدينة بهذا الاسم في العهد البيزنطي حتى الفتح الإسلامي في عهد الخليفة الثاني "عمر بن الخطاب" (رضي الله عنه) عام ٦٣٨ م.

ومنذ ذلك التاريخ أصبحت القدس إسلامية من ٦٣٨ حتى١٩١٧م، وهي تزخر بالشواهد التاريخية والآثار التي تثبت للعالم أن القدس مدينة عربية إسلامية ، وقد استمر الوجود الإسلامي في القدس عبر ثلاثة عشر قرنًا بالرغم من المحن والحروب الصليبية ، فقد استولى الصليبيون على القدس عام١٠٩٩م وأسسوا فيها ما أطلقوا عليه "مملكة القدس" التي استمرت ٨٨ عامًا فقط حتى استعاد صلاح الدين الأيوبي القدس بعد موقعة حطين عام ١١٨٧م ، ولكنّ الصليبيين استولوا على القدس مرة أخرى وظلت تحت سيطرتهم ١١عامًا حتى استردها نهائيًّا الملك الصالح نجم الدين أيوب عام١٢٤٤م ، وظلت القدس إسلامية حتى دخول الجيوش البريطانية ومعهم اليهود في أواخر١٩١٧م وإعلان الانتداب البريطاني على فلسطين.

قضية القدس أمام عصبة الأمم:

ومع ازدياد الصراع على القدس بين العرب الفلسطينيين واليهود الإسرائيليين الوافدين أخذ العالم يهتم بقضية القدس ، وتم رفع الأمر لعصبة الأمم ، ومن خلال مشروع "موريسون" للتحكيم بين العرب واليهود بدأت عصبة الأمم تهتم بما أطلق عليه "قضية القدس" ، فأوفدت عام ١٩٢٩م لجنة دولية لتقصي الحقائق والتحقيق في الوضع القانوني للفلسطينيين واليهود بالنسبة لحائط البراق ، وأصدرت هذه اللجنة تقريرًا

عن المقدسات الإسلامية في القدس وخاصة حائط البراق والذي يطلق عليه اليهود اسم "حائط المبكى" ، وجاء في تقرير هذه اللجنة أن حق ملكية الحائط وحق التصرف فيه وفيما جاوره من الأماكن هو للمسلمين ؛ لأن الحائط جزء لا يتجزأ من الحرم الشريف.

القدس أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة عام النكبة:

ومنذ أن أنشئت منظمة الأمم المتحدة احتلت "قضية فلسطين" بصفة عامة و"قضية القدس" بصفة خاصة مرتبة عالية من الاهتمام من قبل المنظمة ، وقد تم تخصيص دورة خاصة من الجمعية العامة للأمم المتحدة لبحث قضية فلسطين ، فأصدرت في ٢٩ نوفمبر١٩٤٧م قرار تقسيم فلسطين إلى دولتين ، دولة يهودية ، ودولة فلسطينية ، وتدويل القدس.

١- قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم١٨١ في ٢٩ نوفمبر١٩٤٧م القاضي بتقسيم فلسطين إلى دولتين ، دولة فلسطينية ودولة يهودية وتدويل القدس:

وقد نص القرار على تخصيص ٥٦٪ من فلسطين للدولة اليهودية و٤٣٪ للدولة الفلسطينية والقدس الشريف تحت إشراف دولي ، وحصل القرار على ٣٣ صوتًا لصالح التقسيم ، أي ثلثي الأعضاء من بين الدول الـ ٥٧ أعضاء الأمم المتحدة في ذلك الوقت وهي النسبة المطلوبة لإقرار القرار، وقد رفضت جميع الدول العربية والإسلامية الأعضاء هذا القرار: مصر ، وأفغانستان ، والعراق ، وإيران ، وسوريا ، ولبنان ، وباكستان ، والسعودية،

وتركيا ، واليمن ، إلى جانب اليونان ، والهند ، وكوريا ، وامتنعت عشر دول عن التصويت ، وعندما أعلنت نتيجة التصويت واعتماد قرار التقسيم انسحب جميع المندوبين العرب والمسلمين وأعلنوا في بيان جماعي رفضهم التام لخطة التقسيم واستنكارهم لها ، كما رفضوا تدويل القدس ، ولم يتحقق التقسيم أو تدويل القدس.

وطبقًا لتقرير الكتاب السنوي الإنجليزي لفلسطين ١٩٤٧/ ١٩٤٨ كان عدد السكان في القدس ١٥٠٥٩٠ من العرب ١٠٢٥٢٠ من اليهود ، وهذا ما يؤكده أيضا تقرير لجنة الأمم المتحدة الخاصة بفلسطين لعام ١٩٤٧م الذي جاء فيه أن غالبية سكان القدس من العرب الفلسطينيين ، وأن عدد اليهود في القدس لا يتجاوز ٤٠٪ ، وأن عدد اللاجئين من عرب القدس خارج فلسطين حوالي سبعة آلاف فلسطيني.

٢ـ قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ١٨٦ في ١٤/ ٥/ ١٩٤٨م:

جاءت النكبة الكبرى عام ١٩٤٨م عندما أعلن "بن جوريون" في ١٤ من مايو ١٩٤٨م قيام دولة إسرائيل ، وفي اليوم التالي غادر البريطانيون المنطقة وتركوا اليهود والفلسطينيين يتطاحنون على ملكية القدس.

فعقدت الجمعية العامة للأمم المتحدة دورة استثنائية لبحث قضية فلسطين وإقرار الهدنة في القدس ، وأصدرت القرار رقم ١٨٦ في ١٤/ ٥/ ١٩٤٨م الذي ينص على تعيين وسيط الأمم المتحدة الكونت

"برنادوت" للعمل على إدارة الأمور في القدس وضمان حماية الأماكن المقدسة فيها ، وبعد دراسة الوضع لخص الكونت "برنادوت" اقتراحاته بضم القدس للإقليم العربي بقوله : " إن مدينة القدس تقع في وسط الإقليم العربي ، وإن أي محاولة لعزلها سياسيًّا أو غير ذلك عن الإقليم العربي المحيط بها تنطوي على صعاب جمة ، ولا يعني إدخال القدس ضمن الإقليم العربي سيطرة العرب على اليهود وغيرهم من الشعوب غير العربية أصحاب المصالح في تلك المدينة".

ولكن اليهود انتهزوا فرصه الفوضى القائمة على أرض الواقع فاحتلت القوات الإسرائيلية القسم الأكبر من الأحياء الجديدة في القدس ، ولم يمض وقت طويل حتى فاجأت إسرائيل العالم بأن القدس أصبحت عاصمة دولة إسرائيل بقرار من الكنيست ، وتم رفع الأمر لمجلس الأمن .

القدس أمام مجلس الأمن عام النكبة:

- قرار مجلس الأمن رقم ١٩٤ في ١١/ ١٢/ ١٩٤٨م:

تم تحويل قضية القدس للعرض على مجلس الأمن وهو الجهاز التنفيذي للأمم المتحدة ، وكان مجلس الأمن قد أصدر أول قرار لوقف إطلاق النار في فلسطين في ٢٠ من يناير ١٩٤٨م ، وبعد شهرين من صدور هذا القرار اجتمع مجلس الأمن وأصدر تهديدًا بفرض عقوبات اقتصادية وعسكرية على كل من يخالف القرار ، وتوقف القتال بالفعل في ١٨ من يوليو ١٩٤٨م

باستثناء القدس ، فعاد مجلس الأمن للانعقاد لتناول قضية تدويل القـدس ، فأصدر القرار رقم ١٩٤ بتاريخ ١١/ ١٢/ ١٩٤٨ وألحقت خريطة بـالقرار والذي قضى بانسحاب القوات ، وإقامة خطوط الهدنة على الوضـع الـراهن في القدس ، وعودة اللاجئين الراغبين في العودة إلى ديارهم للعيش في سـلام مع جيرانهم ، وانقسمت المدينـة شـطرين فأصـبح الجـزء الشرـقي ويشـمل المدينة القديمة بما فيها الأماكن المقدسة الإسلامية تحت سيطرة الأردن ، بينما احتلت إسرائيل بقية المدينة ، كما أكد هذا القرار على حق العـودة للمنفيـين أو المبعدين من الفلسطينيين الذين هربوا من النزاع أو الذين تم طردهم مـن أراضيهم.

القدس أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة بعد النكبة:

- قرار الجمعية العامة للأمم المتحـدة رقـم ٣٠٢ في ٨/ ١٢/ ١٩٤٩م:

عـادت الجمعيـة العامـة للأمـم المتحـدة للانعقـاد في ٨/ ١٢/ ١٩٤٩م وأصدرت القرار رقم ٣٠٢ والذي أكدت فيـه عزمهـا عـلى وضـع منطقـة القدس تحت نظام دولي يضمن حماية الأماكن المقدسة داخل مدينـة القـدس وخارجها ، ولكن أثناء مناقشة وضـع الأسـس والمبـادئ الخاصـة بتـدويل القدس أعلنت إسرائيل رسميًّا نقل مقر الحكومة الإسرائيلية من تـل أبيـب إلى القدس في ١١/ ١٢/ ١٩٤٩م ، ولكن المجتمـع الـدولي لم يقبـل سياسـة الأمر الواقع التي تحاول إسرائيل فرضها على العالم.

وعلى الرغم من ذلك استمرت إسرائيل في سياستها لطمس الهوية العربية الإسلامية للقدس واتخاذ كافة الإجراءات لتهويد المدينة متحدية بذلك الأمم المتحدة والمجتمع الدولي ، واستمر الصراع بين العرب والإسرائيليين حتى اندلعت حرب ٦ يونيه ١٩٦٧م.

وبعد النكسة احتلت إسرائيل القدس الشرقية وأصبحت المدينة المقدسة موحدة تحت السيطرة الإسرائيلية ، وأخذت إسرائيل في إجراءات تهويد القدس وتغيير معالمها الأساسية وإخلاء المدينة من سكانها العرب ومصادرة أملاكهم وأراضيهم ، والعبث بالممتلكات الثقافية ، وطمس المعالم الإسلامية عن طريق الحفريات تحت المسجد الأقصى للتنقيب عن آثار هيكل سليمان ، وحتى الآن لم تنجح الحفريات في إثبات وجود أي أثر لهذا الهيكل تحت المسجد الأقصى ؛ لأن هذا الموقع حسب المصادر الإسلامية كان أرضًا خالية فضاء ليس به إلا الصخرة المقدسة التي أسري بالنبي (صلى الله عليه وسلم) إليها وعرج منها إلى السماء ليلة الإسـراء والمعراج ، وكذلك عندما دخل الخليفة عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) القدس كان الموقع خاليًا وليس به إلا الصخرة المشرفة ، ويقال إن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) أزاح بيده الأتربة والقاذورات ، ومن الثابت أن هذا الموقع ظل خاليًا إلى أن اختاره الخليفة الأموي "عبد الملك بن مروان" وبنى فيه "المسجد الأقصى" و"حائط البراق" ، وهو الجزء الجنوبي الغربي من جدار الحرم الشريف و"قبة الصخرة المذهبة".

القدس أمام الجمعية العامة للأمم المتحدة بعد نكسة ١٩٦٧م:

- قرار الجمعية العامة للأمم المتحـدة رقـم ٢٢٥٣ في ٤/ ٧/ ١٩٦٧م:

اجتمعت الجمعية العامة للأمم المتحدة في دورة استثنائية بعد النكسة لبحث الوضع في فلسطين والقدس واتخذت القرار رقم ٢٢٥٣ والـذي تبـدي فيـه قلقها الشديد إزاء الموقف السائد في القدس نتيجة الإجراءات التـي اتخـذتها إسرائيل لتغيير وضـع المدينـة وتـدعوها إلى إلغـاء جميـع الإجـراءات التـي اتخذت والامتناع عن اتخاذ أي عمل من شأنه تغيير وضع القدس.

- قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ٢٢٥٤ في ١٤/ ٧/ ١٩٦٧:

بعد أن أخذت الجمعية العامة علمًا بعدم امتثال إسرائيل لقرارها السابق رقم ٢٢٥٣ في ٤/ ٧/ ١٩٦٧م أصدرت قرارها رقم ٢٢٥٤ أعربت فيه عن أسفها الشديد لرفض إسرائيل إلغاء جميع الإجراءات التي اتخذتها ودعتها إلى الامتناع عن اتخاذ أي عمل من شأنه تغيير وضع القدس ، وتدعو الأمين العام للأمم المتحدة مجددًا تقديم تقرير إلى مجلس الأمن والجمعية العامة حول الموقف.

ورفضت إسرائيل القرارين ، وأعلن وزير خارجيتها في الأمم المتحدة أنه حتى ولو صوتت جميع الدول أعضاء الأمم المتحدة ضد إجراءات ضم القدس العربية والقرى المحيطة بها إلى دولة إسرائيل فإن الحكومة الإسرائيلية لن تتزحزح عن قراراتها أو تلغي هذه الإجراءات.

القدس أمام مجلس الأمن بعد نكسة ١٩٦٧م:

- قرار مجلس الأمن رقم ٢٤٢ في ٢٢ / ١١/ ١٩٦٧م:

تم رفع الأمر إلى مجلس الأمن الذي أصدر أشهر قرار في تاريخ الأمم المتحدة وهو القرار رقم ٢٤٢ الذي ينص على " إنهاء حالة الحرب والاعتراف ضمنًا بإسرائيل ودعا إلى: انسحاب القوات الإسرائيلية من الأراضي المحتلة خلال النزاع الأخير" ، وقد أسال هذا القرار كثيرًا من المداد بسبب عدم وضوح النص أو بسبب وجود نصين للقرار نص باللغة الإنجليزية ونص باللغة الفرنسية ، ولقد ذكر في النص الإنجليزي:

« withdrawal from occupied territories »

ويترجم بالعربية بـ "الانسحاب من أراض محتلة" أي: الانسحاب من بعض الأراضي المحتلة وليس جميع الأراضي المحتلة ، بينما النص الفرنسي يذكر:

« retrait des territoires occupés » ويترجم بالعربية بـ"الانسحاب من الأراضي المحتلة" أي: جميع الأراضي المحتلة ، وبالطبع الحكومات الإسرائيلية المتتابعة فضلت النص الإنجليزي الذي يقول بالانسحاب من "أراض محتلة " أي من بعض الأراضي المحتلة وليس كل الأراضي المحتلة ؛ مما يسمح لإسرائيل بالاحتفاظ ببعض الأراضي المحتلة ، بالرغم من أن النص بهذه الصيغة يتعارض مع بقية نص القرار الذي يؤكد على عدم "مقبولية" امتلاك الأراضي بالقوة العسكرية ، وقد تم ترجمة

القرار إلى اللغة العربية وإلى جميع اللغات الرسمية الأخرى للأمم المتحدة طبقًا للصيغة الفرنسية.

وطبقًا للموقع الموسوعي على الإنترنت **"WIKIPEDIA"** فإن المحلل الأممي**"Vernon Turner"** أكد في تحليله السياسي للقرار٢٤٢: أن السفير البريطاني لدى الأمم المتحدة في ذلك الوقت قد عارض بشدة اقتراح السفير السوفيتي أثناء صياغة القرار٢٤٢ ، والذي طلب إضافة كلمة **« all »** أمام كلمة **« Territoires »** منعًا للبس وعدم الوضوح ، أي: الانسحاب من جميع الأراضي ، كما يؤكد المحلل الأممي: أن الولايات المتحدة كانت ستستخدم حق الفيتو للاعتراض على الاقتراح السوفيتي لو تمت الموافقة عليه ، وهكذا تم اعتماد القرار٢٤٢ بالصيغة الإنجليزية ، أي: الانسحاب من بعض الأراضي المحتلة ، وطبقًا لهذا الموقع الإلكتروني فإن اللبس أو عدم الوضوح في صيغة القرار٢٤٢ يعتبر "إراديًا ومقصودًا وغير مرغوب في توضيحه".

وجدير بالذكر أن مجلس الأمن لم يتخذ قرارًا حاسمًا بهذا الشأن لإعادة صياغة القرار رقم ٢٤٢ وإزالة اللبس وتأكيد مضمونه ، وبالرغم من عدم وضوح القرار رقم٢٤٢ إلا أنه في نظر كثير من الدول ومن المحللين السياسيين يعتبر حجر الأساس لحل عادل وكامل ومقبول للصراع العربي الإسرائيلي لإقرار سلام عادل ودائم ؛ لأنه يقر مبدأ الأرض مقابل السلام.

- قرار مجلس الأمن رقم ٢٥٠ في ٢٧/ ٤/ ١٩٦٨م:

استمرت إسرائيل في تحديها للمجتمع الدولي ورفضها لتطبيق قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن ؛ فأعلنت أنها ستقيم عرضًا عسكريًّا في شوارع القدس الشرقية احتفالاً بمرور عشرين عامًا على قيام دولة إسرائيل ، وعلى إثر ذلك اجتمع مجلس الأمن وأصدر قراره بالإجماع رقم٢٥٠ في٢٧ من أبريل ١٩٦٨م ، طالب فيه إسرائيل بإلغاء العرض العسكري المزمع إقامته في القدس الشرقية نظرًا لأن ذلك سيزيد من التوتر في المنطقة ، وسيكون له أثر عكسي على الجهود الرامية للتوصل إلى حل سلمي للمشكلة القائمة في المنطقة ، ولكن المندوب الإسرائيلي في الأمم المتحدة أعلن رفض إسرائيل لقرار مجلس الأمن وأن مجلس الوزراء الإسرائيلي قرر عدم تعديل برنامج العرض العسكري.

- قرار مجلس الأمن رقم ٢٥١ في ٢/ ٥/ ١٩٦٨م:

أقامت إسرائيل بالفعل العرض العسكري في منطقة شرقي خط الهدنة متحدية بذلك قرار مجلس الأمن ومشاعر العرب والفلسطينيين ، فاجتمع مجلس الأمن مرة ثانية وأصدر قراره رقم ٢٥١ في ٢ من مايو ١٩٦٨م وأبدى أسفه العميق لإقامة العرض العسكري في القدس الشرقية ولتجاهل إسرائيل لقرار مجلس الأمن رقم ٢٥٠ الخاص بمطالبة إسرائيل إلغاء العرض العسكري.

- قرار مجلس الأمن رقم ٢٥٢ في ٢١/ ٥/ ١٩٦٨م:

عاد مجلس الأمن إلى الانعقاد لبحث الموقف في القدس وأصدر في٢١ من مايو ١٩٦٨م القرار رقم٢٥٢ الذي يشير إلى قراري الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ٢٢٥٣ و٢٢٥٤ بِشأن مطالبة إسرائيل بإلغاء إجراءات تغيير الوضع في القدس وإلى جميع التقارير والبيانات التي ألقيت في مجلس الأمن وإلى إصرار إسرائيل على مزيد من الإجراءات المنافية للقرارات ، ويشجب عدم امتثال إسرائيل لقراري الجمعية العامة المشار إليهما ، كما يؤكد القرار على أن الاستيلاء على الأراضي بالغزو العسكري أمر غير مقبول ، ويعتبر أن جميع الإجراءات والأعمال التشريعية والإدارية التي قامت بها إسرائيل ومن بينها نزع ملكية الأراضي والممتلكات التي ترمي إلى تغيير الوضع القانوني في القدس هي إجراءات وأعمال باطلة ، ويدعو القرار إسرائيل إلى أن تلغي بصورة عاجلة جميع الإجراءات التي اتخذتها بالفعل وعدم اتخاذ أي إجراء آخر يهدف إلى تغيير الوضع في القدس.

وطبقًا لتحليل الرئيس السابق لمحكمة العدل الدولية البروفسور "باسدوفان" فإن استخدام القوة العسكرية والحرب لاحتلال أو ضم أراض أمر غير مقبول في القانون الدولي العام ، ومن ثم فإن الأراضي التي احتلتها إسرائيل عام ١٩٦٧م ومن بينها القدس الشرقية تخضع لمصطلحات القانون الدولي العام وهي: احتلال **"OCCUPATION"** ، وضم **"ANNEXION"**.

ولكن إسرائيل أعلنت على لسان وزير خارجيتها في ذلك الوقت "أبا إيبان" أنها ستتجاهل قرار مجلس الأمن هذا ؛ لأنه قرار غير معقول ، وأنه فصل من أتعس الفصول التي كتبها مجلس الأمن في تاريخ منظمة الأمم المتحدة.

- قرار مجلس الأمن رقم ٢٦٧ في ٣/ ٧/ ١٩٦٩م:

اجتمع مجلس الأمن في العام التالي لبحث قضية القدس مرة أخرى واتخذ بالإجماع القرار رقم ٢٦٧ في ٣ من يوليو ١٩٦٩م الذي يؤكد ما جاء في قرار العام السابق رقم ٢٥٢ ويشجب بشدة جميع الإجراءات المتخذة لتغيير وضع مدينة القدس ، ويدعو إسرائيل إلى أن تبطل جميع الإجراءات التي تؤدي إلى تغيير وضع مدينة القدس ، وأن تمتنع عن اتخاذ أية إجراءات مماثلة في المستقبل.

ورفضت إسرائيل مرة أخرى قرار مجلس الأمن على لسان وزير الإعلام الإسرائيلي الذي أعلن أن قرار مجلس الأمن هذا لن يكون له أي تأثير على سياسة بلاده.

- قرار مجلس الأمن رقم ٢٧١ في ٢١/ ٩/ ١٩٦٩م:

على إثر حريق المسجد الأقصى تقدمت الدول العربية والإسلامية بشكوى لمجلس الأمن ، فاتخذ المجلس قراره رقم ٢٧١ في ٢١ من سبتمبر ١٩٦٩م الذي يعبر فيه عن حزنه الشديد لما لحق بالمسجد الأقصى في القدس، ويذكر القرار قرارات الجمعية العامة ومجلس الأمن السابقة ،

ويؤكد من جديد مبدأ عدم قبول الاستيلاء على الأراضي بالغزو العسكري، ويدعو إسرائيل إلى أن تبطل جميع الإجراءات والأعمال التي اتخذتها لتغيير وضع القدس ، والامتناع عن إعاقة الهيئة الإسلامية في القدس من القيام بمهامها ، بما في ذلك أي تعاون تطلبه الهيئة من الشعوب الإسلامية من أجل صيانة وإصلاح الأماكن المقدسة الإسلامية.

- قرار مجلس الأمن رقم ٢٩٨ في ٢٥ / ٩/ ١٩٧١م:

ويؤكد هذا القرار على القرارات السابقة وعلى أن جميع الأعمال التشريعية والإدارية التي قامت بها إسرائيل لتغيير الوضع في القدس لاغية كليًّا ، ويدعو إسرائيل بإلحاح إلى إلغائها وإلى عدم اتخاذ خطوات أخرى في القطاع المحتل من القدس الذي قد يفهم منه تغيير وضع المدينة.

القدس أمام مجلس الأمن والجمعية العامة بعد حرب أكتوبر١٩٧٣م

- قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٨ في ٢٢/ ١٠/ ١٩٧٣م:

بعد عبور القوات المصرية لقناة السويس في حرب أكتوبر ١٩٧٣م اجتمع مجلس الأمن وأصدر القرار رقم ٣٣٨ بتاريخ ٢٢ من أكتوبر١٩٧٣م الذي يدعو إلى وقف القتال على كافة جبهات حرب أكتوبر وتنفيذ القرار رقم ٢٤٢ بجميع أجزائه.

- قرار مجلس الأمن رقم ٣٣٩ في٢٣/ ١٠/ ١٩٧٣م:

استمرت إسرائيل في القتال والتقدم نحو السويس ولم تمتثل لقرار مجلس الأمن بوقف القتال ، فاجتمع مجلس الأمن مرة أخرى في اليوم التالي وأصدر

القرار رقم ٣٣٩ الذي يدعو إلى وقف إطلاق النار ؛ وعودة الأطراف المتحاربة إلى خطوط ٢٢ أكتوبر/ ١٩٧٣م ، وإرسال مراقبين للتمركز على هذه الخطوط ، كما اجتمع مجلس الأمن بعد يومين في٢٥ من أكتوبر وأصدر القرار رقم٣٤٠ بتشكيل قوة طوارئ تابعة للأمم المتحدة لا تشارك فيها الدول الدائمة العضوية في مجلس الأمن: الولايات المتحدة الأمريكية وروسيا وبريطانيا وفرنسا والصين.

- قرار مجلس الأمن رقم ٤٥٢ في٢٠/ ٧/ ١٩٧٩م:

مع استمرار إسرائيل في سياستها الاستيطانية في الأراضي المحتلة وخاصة في القدس اجتمع مجلس الأمن وأصدر القرار رقم٤٥٢ بتاريخ٢٠ من يوليو ١٩٧٩م يطالب فيه سلطات الاحتلال الإسرائيلية بوقف أنشطتها الاستيطانية في الأراضي العربية المحتلة بما فيها القدس.

- قرار مجلس الأمن رقم ٤٧٦ في ٣٠/ ٦/ ١٩٨٠:

بناءً على دعوة وزراء خارجية الدول الإسلامية لمجلس الأمن بالانعقاد للتباحث بشأن قرار إسرائيل بضم القدس أصدر المجلس القرار٤٧٦ الذي يؤكد على الضرورة الملحة لوضع حد للاحتلال المستمر للأراضي العربية المحتلة من قبل إسرائيل منذ ١٩٦٧م بما في ذلك القدس ويعارض الإجراءات الإسرائيلية لضم القدس ، ويطالب إسرائيل بوضع حد للتغييرات للطابع القانوني والجغرافي للمدينة.

- القرار رقم ٤٧٨ في ٢٠/ ٨/ ١٩٨٠م:

صدر هذا القرار بعد عدم احترام إسرائيل للقرار رقم٤٧٦ وهو يطالب إسرائيل بوضع نهاية لاحتلال القدس ، ويدين القانون الذي تم التصويت عليه في الكنيست الإسرائيلي في نفس العام ، والذي أقر بأن القدس هي عاصمة دولة إسرائيل الواحدة التي لا تتجزأ ، أي تشمل القدس الشرقية ، وأن المجلس يعتبر هذا القانون الإسرائيلي انتهاكًا للقانون الدولي ، وأن جميع القوانين التي أصدرتها إسرائيل لتغيير وضع القدس تعتبر لاغية ، ويحث القرار الدول الأعضاء التي لها تمثيل دبلوماسي في القدس أن تسحب هذا التمثيل الدبلوماسي من القدس.

- قرار مجلس الأمن رقم٦٧٢ في١٢ من أكتوبر ١٩٩٠م:

بعد الأحداث العنيفة الدامية في ساحة المساجد في القدس أدان مجلس الأمن بقراره رقم ٦٧٢ بتاريخ ١٢ من أكتوبر١٩٩٠م أعمال العنف التي ارتكبتها قوات الأمن الإسرائيلية في الحرم الشريف وفي الأماكن المقدسة الأخرى في القدس ، ويطلب من إسرائيل تطبيق اتفاقية جنيف الرابعة الخاصة بحماية المدنيين وقت الحرب وتحت الاحتلال.

- قرار مجلس الأمن رقم ٧٩٩ في ١٨/ ١٢/ ١٩٩٢م:

مع استمرار إسرائيل في تماديها في سياستها الاستيطانية في القدس وفي انتهاك حقوق الإنسان للشعب الفلسطيني وإبعاد الفلسطينيين المدنيين

وخاصة أهالي القدس اجتمع مجلس الأمن عدة مرات وأصدر عدة قرارات تتعلق كلها بمطالبة إسرائيل بالتقيد فورًا باتفاقية جنيف الرابعة المتعلقة بحماية المدنيين وقت الحرب ، وهذه القرارات تحمل أرقام ٦٠٧ ، ٦٠٨ ، ٦٣٦ ، ٦٤١ ، ٦٨١ ، ٦٩٤ ، ٧٢٦ ثم ٧٩٩ في ١٨/ ١٢/ ١٩٩٢م وهذا القرار الأخير طالب إسرائيل بإلغاء قرارات الترحيل وكفالة عودة كل من تم ترحيلهم فعلاً.

وبعد أن حذر الأمين العام للأمم المتحدة في ذلك الوقت "بطرس غالي" إسرائيل من إمكانية اتخاذ مجلس الأمن "إجراءات" لفرض احترام قراراته المتعلقة بالفلسطينيين المبعدين ، قامت إسرائيل بإعادة مائة من المبعدين إلى مرج الزهور في فبراير١٩٩٣م.

- قرار مجلس الأمن رقم ١٣٢٢ في ٧/ ١٠/ ٢٠٠٠م:

وفي يوليو من عام٢٠٠٠م أدت زيارة "آرييل شارون" إلى ساحة الحرم الشريف في القدس التي تضم المسجد الأقصى وقبة الصخرة إلى اشتعال الغضب الفلسطيني وبدء انتفاضة الأقصى ورد الفعل الإسرائيلي العنيف واستخدام الدبابات المصفحة ضد الشباب الفلسطيني الأعزل الذي يرشق الجنود الإسرائيليين بالحجارة ، فاجتمع مجلس الأمن وتبنى بالإجماع القرار رقم١٣٢٢ في٧ أكتوبر٢٠٠٠م الذي أدان إفراط إسرائيل في استخدام القوة ضد الفلسطينيين.

- قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة رقم ٥٨/٢٩٢ في ١٤ من مايو ٢٠٠٤م:

والذي استخدم لأول مرة تعبير "الأرض الفلسطينية المحتلة وتشمل القدس الشرقية" بدلا من صيغة الجمع في القرارات السابقة ، حيث كان مصطلح "أراض فلسطينية" هو المستخدم .

* * *

قرارات الأمم المتحدة ومجلس الأمن بشأن القدس من ٢٠٠٤م حتى ٢٠١٩م (*)

١- الأول من ديسمبر ٢٠٠٤م ، أعادت الجمعية العامة للأمم المتحدة ، تأكيد ما قررته من أن أي إجراءات تتخذها إسرائيل لفرض قوانينها وولايتها وإدارتها على مدينة القدس الشريف إجراءات غير قانونية ؛ ومن ثم فهي ملغاة وباطلة ، وليس لها أي شرعية على الإطلاق.

٢- الأول من ديسمبر ٢٠٠٥م ، كررت الجمعية العامة للأمم المتحدة ، تأكيد ما قررته من أن أي إجراءات تتخذها إسرائيل لفرض قوانينها وولايتها وإدارتها على مدينة القدس الشريف إجراءات غير قانونية.

٣- الأول من ديسمبر ٢٠٠٦م ، أعربت الجمعية العامة للأمم المتحدة عن شديد قلقها بوجه خاص إزاء استمرار إسرائيل (السلطة القائمة بالاحتلال) ، بالقيام بأنشطة استيطانية غير قانونية ، بما في ذلك ما يسمى بـ "الخطة هاء- ١" ، وتشييدها للجدار في القدس الشرقية وحولها ، وزيادة عزل المدينة عن بقية الأرض الفلسطينية المحتلة.

٤- السابع عشر من ديسمبر ٢٠٠٧م ، أكدت الجمعية العامة للأمم المتحدة ، أن محكمة العدل الدولية خلصت إلى أن إقامة المستوطنات الإسرائيلية في الأرض الفلسطينية المحتلة ، بما فيها القدس الشرقية ، تمثل خرقًا للقانون الدولي.

---

*) أعدَّ هذا الملحق: الإدارة المركزية للسيرة والسنة بالمجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، وزارة الأوقاف

٥- الخامس من ديسمبر ٢٠٠٨م ، أعربت الجمعية العامة للأمم المتحدة ، عن قلقها ، لأن مسار الجدار قد رسم بطريقة تجعله يضم الغالبية العظمى من المستوطنات الإسرائيلية في الأرض الفلسطينية المحتلة ، بما فيها القدس الشرقية.

٦- في ١٠ ديسمبر ٢٠٠٩م ، أكدت الجمعية العامة للأمم المتحدة ، من جديد أن المستوطنات الإسرائيلية في الأرض الفلسطينية ، بما فيها القدس الشرقية والجولان السوري المحتلة ، غير قانونية وتشكل عقبة أمام السلام والتنمية الاقتصادية والاجتماعية.

٧- في ٢٠ ديسمبر ٢٠١٠م ، أكدت الجمعية العامة للأمم المتحدة ، أن ما تقوم به إسرائيل من تشييد للجدار والمستوطنات في الأرض الفلسطينية المحتلة ، بما في ذلك داخل القدس الشرقية وحولها ، يشكل انتهاكًا للقانون الدولي.

٨- في ٩ ديسمبر ٢٠١١م ، أكدت الجمعية العامة للأمم المتحدة ، انطباق اتفاقية جنيف المتعلقة بحماية المدنيين وقت الحرب المؤرخة ١٢ أغسطس ١٩٤٩م ، على الأرض الفلسطينية المحتلة ، بما فيها القدس الشرقية.

٩- في ١٨ ديسمبر ٢٠١٢م ، أكدت الجمعية العامة للأمم المتحدة ، أن المستوطنات الإسرائيلية في الأرض الفلسطينية المحتلة ، بما فيها القدس الشرقية ، وفي الجولان السوري المحتل ، غير قانونية ، وتشكل عقبة أمام السلام والتنمية الاقتصادية والاجتماعية.

١٠- في ٢٠ ديسمبر ٢٠١٣م ، أكدت الجمعية العامة للأمم المتحدة على ضرورة احترام وصَوْن الوحدة الإقليمية للأرض الفلسطينية المحتلة بأكملها وتواصلها وسلامتها ، بما فيها القدس الشرقية.

١١- في ٥ ديسمبر ٢٠١٤م ، طالبت الجمعية العامة للأمم المتحدة ضرورة إنهاء الاحتلال الإسرائيلي الذي بدأ في عام ١٩٦٧م بصورة تامة.

١٢- في ديسمبر ٢٠١٥م ، شجبت الجمعية العامة للأمم المتحدة أنشطة الاستيطان في الأرض الفلسطينية المحتلة ، بما فيها القدس الشرقية.

١٣- في ٦ ديسمبر ٢٠١٦م ، أكدت الجمعية العامة للأمم المتحدة على اتفاقية بحماية المدنيين على الأرض الفلسطينية المحتلة ، بما فيها القدس الشرقية.

١٤- في ٢٣ ديسمبر ٢٠١٦م ، طالبت الجمعية العامة للأمم المتحدة إسرائيل بوقف كافة الأنشطة الاستيطانية في الأراضي الفلسطينية المحتلة ، بما فيها القدس الشرقية ، وعدم الاعتراف بأي تغيرات في حدود يونيو ١٩٦٧م.

١٥- في ٢١ ديسمبر ٢٠١٧م ، اعتمدت الجمعية العامة للأمم المتحدة ، قرارًا أكدت فيه أن أي قرارات أو إجراءات يقصد بها تغيير طابع مدينة القدس أو وضعها أو تكوينها الديموغرافي ليس لها أثر قانوني ، وتعد ملغاة وباطلة ويتعين إلغاؤها امتثالًا لقرارات مجلس الأمن ذات الصلة.

أيدت القرار ١٢٨ دولة وعارضت ٩ فيما امتنعت عن التصويت ٣٥ دولة.

وإذ تعرب في هذا الصدد عن بالغ أسفها إزاء القرارات الأخيرة المتعلقة بوضع القدس ، فإنها:

أ- تؤكد أن أي قرارات وإجراءات تهدف إلى تغيير طابع مدينة القدس الشريف أو مركزها أو تركيبتها الديموغرافية ليس لها أي أثر قانوني ، وأنها ملغاة وباطلة ، ويجب إلغاؤها امتثالًا لقرارات مجلس الأمن ذات الصلة ، وتدعو في هذا الصدد جميع الدول إلى الامتناع عن إنشاء بعثات دبلوماسية في مدينة القدس الشريف ، عملًا بقرار مجلس الأمن ٤٧٨ لسنة (١٩٨٠).

ب-تطالب جميع الدول بالامتثال لقرارات مجلس الأمن المتعلقة بمدينة القدس الشريف ، وبعدم الاعتراف بأية إجراءات وتدابير مخالفة لتلك القرارات.

ت- تكرر دعوتها إلى عكس مسار الاتجاهات السلبية القائمة على أرض الواقع التي تهدد إمكانية تطبيق حل الدولتين ، وإلى تكثيف وتسريع وتيرة الجهود وأنشطة الدعم على الصعيدين الدولي والإقليمي من أجل تحقيق سلام شامل وعادل ودائم في الشرق الأوسط دون تأخير على أساس قرارات الأمم المتحدة ذات الصلة ، ومرجعيات مدريد ، بما في ذلك مبدأ الأرض مقابل السلام ، ومبادرة السلام العربية ، وخريطة الطريق التي وضعتها المجموعة الرباعية ، وإنهاء الاحتلال الإسرائيلي الذي بدأ في عام ٩٦٧م.

ث- تقرر دعوة الجلسة الطارئة المؤقتة الخاصة للانعقاد ، وتكليف رئيس الجمعية العامة للأمم المتحدة في أقرب جلسة لاستئناف عملها بناء على طلب الدول الأعضاء.

١٦- قرار الجمعية العامة في ٢٠ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٧:

السيادة الدائمة للشعب الفلسطيني في الأرض الفلسطينية المحتلة ، بما فيها القدس الشرقية ، وللسكان العرب في الجولان السوري المحتل على مواردهم الطبيعية.

١٧- قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٧ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٨:

انطباق اتفاقية جنيف بشأن حماية المدنيين وقت الحرب والمؤرخة في ١٢ آب / أغسطس ١٩٤٩ على الأرض الفلسطينية المحتلة بما فيها القدس الشرقية ، وعلى الأراضي العربية المحتلة الأخرى. وذلك بناء على تقرير لجنة المسائل السياسية الخاصة وإنهاء الاستعمار.

١٨- قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٧ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٨ في جلستها العامة رقم ٤٨ ، بشأن المستوطنات الإسرائيلية في الأرض الفلسطينية المحتلة بما فيها القدس الشرقية ، والجولان السوري المحتل:

تؤكد من جديد على أن المستوطنات في كل منهما غير قانونية وتشكل عقبة أمام السلام والتنمية الاقتصادية والاجتماعية ، وتطلب إلى إسرائيل أن تقبل انطباق اتفاقية جنيف لحماية المدنيين في وقت الحرب على الأرض الفلسطينية المحتلة بما فيها القدس الشرقية ، وعلى الجولان السوري وأن تلتزم بدقة بأحكام الاتفاقية وأن تتقيد بجميع التزاماتها بموجب القانون الدولي ، وأن

تكف فورًا عن جميع التدابير التي تتسبب في تغيير طابع الأرض المحتلة وتكوينها الديمغرافي ، وتؤكد على أن الوقف التام لجميع أنشطة الاستيطان الإسرائيلية أساسي لإنفاذ حل الدولتين ، والمساءلة عن الأعمال غير المشروعة التي يرتكبها المستوطنون الإسرائيليون في الأراضي المحتلة ، وضرورة تنفيذ قرار مجلس الأمن ٩٠٤ لسنة ١٩٩٤ الذي طالب إسرائيل بوصفها السلطة القائمة بالاحتلال بمواصلة تنفيذ التدابير التي تهدف لمنع أعمال العنف غير المشروعة التي يرتكبها المستوطنون ضد المدنيين وممتلكاتهم ، كما شجبت إقامة الجدار غير القانوني داخل الأرض الفلسطينية المحتلة بما فيها القدس الشرقية وما حولها ، وخروج هذا الجدار عن حدود خط الهدنة لعام ١٩٤٩ بطريقة تجعله يضم الغالبية العظمى من المستوطنات المقامة في الأراضي المحتلة ، وتجعله يسبب محنة إنسانية شديدة وترديًا في الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية للشعب الفلسطيني ، ويفتت وحدة الأرض الفلسطينية. كما طلبت إلى الأمين العام أن يقدم إلى الجمعية العامة في دورتها (٧٤) تقريرًا عن تنفيذ هذا القرار.

١٩- قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة في ٧ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٨ :
بناء على تقرير لجنة المسائل السياسية الخاصة وإنهاء الاستعمار ، بشأن وقف الممارسات الإسرائيلية التي تمس حقوق الإنسان للشعب الفلسطيني في الأرض الفلسطينية المحتلة بما فيها القدس الشرقية.

٢٠- قرار الجمعية العامة في ٢٠ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٨:

السيادة الدائمة للشعب الفلسطيني في الأرض الفلسطينية المحتلة ، بما فيها القدس الشرقية ، وللسكان العرب في الجولان السوري المحتل على مواردهم الطبيعية.

وضرورة التوصل إلى تسوية سلمية عادلة ودائمة على كافة المسارات استنادًا إلى قرارات مجلس الأمن ٢٤٢ (١٩٦٧) ، و٣٣٨ (١٩٧٣) ، و٤٢٥ (١٩٧٨) ، و١٣٩٧ (٢٠٠٢) ، و٢٣٣٤ (٢٠١٦) ومبدأ الأرض مقابل السلام ومبادرة السلام العربية وخريطة الطريق لحل دائم للصراع العربي الإسرائيلي على أساس وجود دولتين على النحو الذي أقره مجلس الأمن في قراره ١٨٥٠ (٢٠٠٨) وتطلب إلى إسرائيل بوصفها السلطة القائمة بالاحتلال أن تزيح العوائق التي تحول دون تنفيذ المشاريع البيئية ذات الأهمية الحاسمة ، وألا تعرقل التنمية الفلسطينية.

٢١- قرار الجمعية العامة للأمم المتحدة في ١٩ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠١٩:

تأكيد أن السيادة الدائمة للشعب الفلسطيني في الأرض الفلسطينية المحتلة ، بما فيها القدس الشرقية ، وللسكان العرب في الجولان السوري المحتل على مواردهم الطبيعية. وذلك في الجلسة العامة رقم ٥٢.

* * *

فهرس الموضوعات

❋ ❋ ❋



رقم الإيداع: /